الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الانسانية

قسم الفلسفة

الموضوع:

نظرية المعرفة عند إخوان الصفا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:
آسية سلطاني

إشراف الدكتورة:
خيرة بورنان

اللجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة
زروخي الدراجي	رئيسا
بازة الحاج	مناقشا
بورنان خيرة	مشرفا

السنة الجامعية:2017/2016

شكر وعرفان

الحمد والشكر أولا للعلي الذي من عليّنا بالصحة لإتمام هذا العمل

أتقدم بشكر خاص وجزيل إلى الدكتورة خيرة بورنان على توجيهاتها الجمة وتفضلها الإشراف على هذا الموضوع

كما أتقدم بشكري لأساتذة قسم الفلسفة لما لهم من فضل علينا .

كما أشكر كل من قدم لنا الدعم ماديا أو معنويا من قريب أو من بعيد.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما عز وجل:

(وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا)

إلى من قال المصطفى صلى الله عليه وسلم فيها (الجنة تحت أقدام الأمهات).

إلى من علمتني أن الحياة نجاح وان النجاح إرادة والدتي الحبيبة

إلى من تعب لأجلي وأنار لي طريق العلم والدي العزيز

إلى الأحبة جدي وجدتي وخالي نور الدين وعمي العيد وابنته نوال

والى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إخوتي رضوان ومحمد وريان

رعاهم الله و وفقهم لكل خير

كما اهدي عملي هذا إلى كل حامل علم ودارس معرفة

مقدمة

مقدمة

تعد جماعة إخوان الصفا وخلان الوفاء، لغز مبهما في التاريخ الإسلامي صعب حله، وسر من أسرار العقائد الباطنية عسر فهمه، وقد تضاربت الآراء والأقوال والأبحاث حول موضوع إخوان الصفا، حتى أصبح مثار للجدل والتخمين بين العلماء والباحثين، فدراسة موضوع إخوان الصفاء ليست من الأمور السهلة في تاريخنا العربي وفلسفتنا الإسلامية، فلقد لفت انتباه أنظار فريق كبير من العلماء والباحثين والمستشرقين منذ بدء النهضة العلمية الحديثة، وكان جميع الذين جالوا في مجاله الواسع مجمعين على القول بأن رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء هي أغزر مادة فلسفية، وأقوم حجة عقلية، وأثمن تحفة فكرية ضمت بين دفتيها البديع والإيجاز والحكمة والفنون، من فلك وعدد وموسيقى وفن وهندسة ورياضيات وطب وأدب وتربية وعلوم أخرى، انتهجها العقل الإسلامي في عصر مبكر من عصور الإسلام، تمثل الرقي العقلي والتصور الفكري وهي موسوعة بالعلوم والآداب الناطقة بسهولة الأسلوب ومرونة الاستدلال فرسائل الإخوان تميزت بأسلوبها الفريد ولغتها البسيطة.

ورغم الكتمان الشديد الذي كانت تتميز به هذه الجماعة، و إخفاء أسماء جل مؤلفي الرسائل إلا أن رسائلهم لاقت روجا كبيرا، وهذا نتيجة ما تحتويه هذه الرسائل من فلسفة جامعة لمختلف ضروب العلم والمعرفة.

ولقد نظر إخوان الصفا في مختلف العلوم، كما أنهم اهتموا بالمعرفة كما اهتم كذلك سابقوهم بهذا المجال أمثال الفلاسفة اليونانيون والفلاسفة المسلمون، فنظرية المعرفة تعد اللبنة الأساسية في أي منظومة معرفية أو فلسفية وهي عصب الفلسفة في كل عصورها.

وان لم يطرح إخوان الصفا آرائهم في المعرفة آنذاك بصورة مستقلة، وإنما طرحوا مسائلها متفرقة ومبثوثة في رسائلهم ومن خلال هذا يمكن صياغة الإشكالية التي يدور حولها بحثنا هذا وهي على النحو التالي:

- **هل يمكن القول بان آراء إخوان الصفا في المعرفة ترتقي إلى أن تشكل لنا نظرية في المعرفة؟**
- **و إن كان الأمر كذالك فما هي أنواع المعرفة عند إخوان الصفا وما هي طرقها؟**

وللإجابة عن هذه الإشكالية التزمت بخطة متكونة في مجملها من ثلاثة فصول وفقا للترتيب التالي:

الفصل الأول: تحت عنوان نظرية المعرفة الإطار الابستيمولوجي والتاريخي، وقد تناولت فيه العناصر التالية:

أولا: مفهوم نظرية المعرفة.

ثانيا: المذاهب الفلسفية ونظرية المعرفة، وقد تناولت فيه أهم المذاهب الفلسفية (المذهب الريبي، والمذهب والوثوقي، والمذهب النقدي).

ثالثا نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي ما قبل إخوان الصفا، وقد تطرقت فيه إلى آراء الفلاسفة اليونان والمسلمين حول نظرية المعرفة.

الفصل الثاني: تحت عنوان إخوان الصفا الهوية والمرجعية الفكرية، وتضمن العناصر التالية:

أولا: ملامح القرن الرابع الهجري، وهو عرض لأهم ملامح هذا العصر خصوصا من الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية.

ثانيا: إخوان الصفا أصلهم ومبادئ فلسفتهم، وتضمن العناوين التالية:

أ. من هم إخوان الصفا؟

ب.مبادئ فكر إخوان الصفا

ج. رسائلهم

د. أهدافهم

بينما **الفصل الثالث**: **فقد كان بعنوان الوجود كأساس أنطولوجي للمعرفة عند إخوان الصفا**، واحتوى هو الآخر على العناصر التالية:

أولا: الوجود ومراتبه عند إخوان الصفا وقد تطرقت فيه إلى تقسيم مراتب الوجود بالتفصيل.

ثانيا: أنواع المعرفة عند إخوان الصفا وطرقها وهو موضوع بحثي.

ثالثا: تصنيف العلوم عند إخوان الصفا.

أما الخاتمة فقد احتوت على أهم النتائج المستخلصة في بحثي هذا.

وقصد تحليل عناصر الإشكالية كما هي موضحة في الخطة - أعلاه - اعتمدت على المنهج التحليلي، من خلال الرجوع إلى مجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، ومن أهمها: "**رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء**" بأجزائها، ومن أهم المراجع المعتمدة "إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم" لفؤاد معصوم، "إخوان الصفا درس عرض وتحليل" لعمر فروخ، "الفلسفة السياسية لإخوان الصفا" لمحمد فريد حجاب بالإضافة إلى المزيد من المراجع، ونحن بذلك نحاول إثراء هذا الحقل الفلسفي بهذه الدراسة الأكاديمية، من أجل إثراء رفوف مكتبتنا ونأمل أن نكون عونا لكل باحث في هذا المجال.

أما عن أسباب اختياري الموضوع، فهي ذاتية تمثلت في حب الاطلاع على الفلسفة الإسلامية وخاصة في مجال المعرفة، وإبراز دور الفلسفة العربية الإسلامية ودرجة اهتمامها بالمعرفة.

الفصل الأول

نظرية المعرفة الإطار الإبستيمولوجي والتاريخي

أولا: مفهوم نظرية المعرفة

ثانيا: المذاهب الفلسفية ونظرية المعرفة

ثالثا نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي ما قبل إخوان الصفا

أ- عند اليونان

ب- عند المسلمين

أولا: مفهوم نظرية المعرفة

قبل عرض مفهوم نظرية المعرفة من الضروري الوقوف عند دلالة كل من النظرية والمعرفة، بوصفهما مصطلحان مشكلان(من التركيب) لما يعرف بـــــنظرية المعرفة *Théorie de Connaissance* .

يعرف أندري **لالاند *Andree lalande* النظرية في قوله: «هي كل القضايا التي تعبر عن قضايا سببية».**[1]

ويعرفها **جميل صليبا** بقوله: «**النظرية قضية تثبت برهان وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي مؤلف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ**»[2]، أي أنها تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات وهي عبارة عن تصورات منسقة عند الفلاسفة كما أنها تطلق على ما يقابل الممارسة العملية.

أما المعرفة[*] فعرفها **الجرجاني الشريف** في قوله:« **أن المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه والعلم كذلك سواء أن المعرفة مسبوقة بجهل خلافا للعلم، (ولهذا يسمى الحق -تعالى- بالعالم دون العارف)**»[3]، فالمعرفة هي إدراك الأشياء وتصورها.

وقد ذكر **التهانوي**[**] أن من المعاني التي حد الفلاسفة القدماء المعرفة بها:

---

[1] أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، منشورات عويدات بيروت. باريس، ط2، 2001، ص 1428.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، الشركة العالمية للكتاب، د ط 1994، ص377.

[*] المعرفة لغة: يعرفها ابن منظور بقوله: «عرفت زيدا أو نقول عرف لأن الشيء لا عارف وربما وضعوا اعتراف موضع عرف كما وضع عرف موضع اعتراف وقد تعارف القوم أي عرف بعضهم بعضا، كما أن العارف هـــي الوجوه والمعروف الوجه لأن الإنسان يعرف به ومعارف الأرض وجهها أو ما عرف عنها». ينظر: ابن منظـــور: لسان العرب، ج13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، ص ص 153-154.

[3] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي،دار الفضيلة، القـــاهرة، مصر، د. ت، ص 185.

(**) محمد علي بن الشيخ بن محمد حامد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي، باحث هندي وعالم موســـوعي ولغوي من أئمة القرن الثاني عشر للهجرة.

أ. إدراك الشيء بإحدى الحواس.

ب. العلم مطلقا تصورا كان أو تصديقا.

ج.إدراك البسيط سواء كان تصورا للماهية أو تصديقا بأحوالها. [1]

لكن هل نظرية المعرفة هي حاصل الجمع بين مصطلحي النظرية والمعرفة؟ نجد الجواب **عند لالاند**، فحسبه **نظرية المعرفة هي**:« **دراسة المشاكل التي تطرحها العلاقة بين الذات والموضوع في فعل المعرفة وقد حُدد هذا الموضوع في صورتين أساسيتين" صورة قديمة تبحث مدى تطابق تصور الأشخاص لما هو موجود بشكل مستقل عن هذه التصورات أم الصور الحديثة المعاصرة فهي البحث في طبيعة موضوع المعرفة المحدد ومعرفة قوانين هذه الطبيعة في تمرس الفكر والعلاقة بينهما**»[2].

و معنى هذا التعريف أنها دراسة منهجية منظمة لقضية أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها وطرق الوصول إليها وقيمتها وحدودها في البحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعرفة.

ثانيا: أهم المذاهب الفلسفية ونظرية المعرفة

من القضايا والتساؤلات التي تثيرها نظرية المعرفة نذكر:

- إمكان المعرف(هل المعرفة ممكنة)
- ما طبيعة المعرفة ومصدرها؟
- حدود المعرفة(ما هي حدود معرفتنا)؟

---

[1] عبد الرحمان بن زيد الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، ط1، 1996، ص43.

[2] نقلا عن، نظرية المعرفة محمد باقر الصدر، ص11.

ولقد اختلف الفلاسفة باختلاف مذاهبهم في الإجابة عن هذه الأسئلة، ومن هذه المذاهب -على سبيل المثال- مذهب الشكاك(الريبي) والمذهب الوثوقي، والمذهب النقدي.

أ. **المذهب الريبي**:

يعرف المذهب الريبي أيضا بالمذهب الشكي والشكية (الريبية) هو مذهب فلسفي يضع إمكان المعرفة الموضوعية للواقع موضع تساؤل، ويعبر عن الشك في كفاءة الحواس وكفاءة العقل لبلوغ اليقين حول طبيعة الأشياء.[1]

ويمكن جمع حجج الشكاك في ثلاثة أنواع، وهذه الحجج في رأيهم تؤدي إلى استحالة المعرفة أو إنكار القول بإمكانيتها وهي:

1.حجج تتعلق بالذات العارفة.

2.حجج تتعلق بموضوع المعرفة.

3.حجج تتعلق بالعلاقة بين الذات والموضوع[2] والمقصود بالذات هو الإنسان الذات المدركة أو الذات العارفة، والمقصود بالموضوع هو الشيء الذي يدركه الإنسان ويعرفه ويسمى باسم موضوع المعرفة.

حجج تتعلق بالذات هي أن حواس الإنسان ليست واحدة من حيث القوة، وإنما هي مختلفة فمن الممكن أن يكون لدى الإنسان نظر سليم لكن حاسة السمع ضعيفة، بل إن القدرات الحسية لدى الإنسان نفسه، تختلف في السن أي باختلاف سنوات عمره فالإنسان وهو صغير حواسه تختلف عن حواسه وهو شاب، وتختلف عن حواسه وهو كهل. وبالتالي فإن المعرفة غير ممكنة طالما أن الحواس تأتي لنا بمعلومات وحقائق مختلفة.

---

[1] - زروخي الدراجي: المذاهب الفلسفية الكبرى، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، 2015م، ص 69.

[2]- عصام زكريا جميل: اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، دار المسيرة، ط1، 2012م، ص 13.

فقدرات بني الإنسان بعضه مع بعض تختلف أيضا، فهناك من يدرك الأشياء بنظره إدراكا حسنا، وهناك من يشم الأشياء بدقة، وهكذا فإن هذا الاختلاف والتباين بين قدرات الناس الحسية يؤدي في نظر الشكاك إلى الريبية والشك في إمكانية المعرفة، بالإضافة إلى ذلك انطباع الإنسان للأشياء في الخارج تختلف أيضا، مثال الإنسان عندما يضع أي عطر من العطور ويقربه إلى أنفه يجد رائحة طيبة، ولكنه لو وضع هذا العطر على لسانه لوجده كريها، وطالما الانطباع يختلف عن غيره للشيء الواحد، يقول الشكاك إذن أن المعرفة غير ممكنة.

وفيما يخصص الحجج المتعلقة بموضوع المعرفة، والمشكلة هنا في الشيء بحد ذاته أي الشيء نفسه، بحيث يضرب الشكاك أمثلة ويقولون أن قطعة الفضة وهي كاملة تكون فضية اللون أو أقرب إلى البياض، أما إذا فرقناها إلى قطع صغيرة فنجد أن لونها أسود، فأيهما نسبق اللون الفضي أو الأسود؟

حجج تتعلق بالعلاقة بين الذات والموضوع: يذهب الشكاك إلى أن الإنسان يرى السفينة أو المركب مثلا على مقربه يكون كبيرا، فإذا رآه على بعد رآه ثابتا وصغيرا فأيهما نصدق في رأي أصحاب الشك الحركة أم السكون أم الضخامة ؟[1]

وهناك اختلاف بين الشك المذهبي والشك المنهجي، الشك المذهبي يبدأ فيه الفيلسوف شاكا وينتهي شاكا ويعلق الحكم، أما الشك المنهجي فهو وسيلة يضعها الفيلسوف للوصول إلى الحقيقة، فيبدأ شاكا وينتهي متيقنا، فالشك المذهبي وسيلة وغاية في نفس الوقت، أما الشك المنهجي فهو لديهم وسيلة لغاية هي اليقين.

ب. **المذهب الدوجماطيقي**:

هو المذهب الذي يؤمن إيمانا مطلقا بإمكان المعرفة، والقدرة على التوصل إلى اليقين وكانت الدوجماطيقية تطلق قديما على كل فلسفة تثبت حقائق معينة في مقابل

[1]- عصام زكريا جميل: اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، ص ص 13-14.

مذهب الشك، الذي يمنع عن إثبات الحقائق أو نفيها أما حديثا، فقد استعمل اللفظ للدلالة على التسليم بالمعرفة، دون البحث عن وجه الحق في إقرارها، في مقابل المذهب النقدي عند كانط، فأصحاب المذهب الدوجماطيقي يبدؤون تفكيرهم من نقطة معينة يؤمنون بها، وينطلقون منها دون نقد أو تحليل أي أن الاتجاه الدوجماطيقي هو الاتجاه الذي يؤمن بالقدرة على التوصل إلى اليقين ويؤمن بإمكان المعرفة. [1]

ويمكن التمييز بين نوعين من النظريات الدوجماطيقية في المعرفة.

- **الدوجاطيقية العقلانية**:

وهي التي تعبر عن مواقف العقلانيين، أي أولئك الذين انحازوا إلى جانب العقل فاليقينيون العقليون، عندما يذهبون إلى القول بأن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة بمعنى: أن المعرفة تبدأ انطلاقا من مبادئ عقلية صرفة لا مجال فيها لخبرة الحواس فأننا من هذه المبادئ يمكننا استنباط علم كامل بحقائق كل الأشياء[2] أي أن هذا الموقف هو موقف أولئك الذين ينحازون إلى جانب العقل ولا مجال هنا لخبرة الحواس أي أن المعرفة تبدأ انطلاقا من مبادئ عقلية، أي من مبادئ فطرية.

يقول ديكارت:«إن هذه الأفكار يبدو بعضها مفطور» يؤكد ديكارت على أن الأفكار الفطرية بالإضافة إلى أنها تتميز بالوضوح، فإن مصدرها العقل وهي موجودة بالقوة فيه.[3]

- **الدوجماطيقية التجريبية**:

وهي النوع الثاني من النظريات الدوجماطيقية، وهي تعبر عن مواقف التجريبيين الذين أكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة، وتصورا أن أفكارنا كلها من صنع العالم الخارجي، فاليقينيون الحسيون عندما يذهبون إلى اعتبار التجربة الحسية المصدر

---

[1]- آمنة عبد السلام الزائدي: مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، عدد3، ص 359.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- زروخي الدراجي: المذاهب الفلسفية الكبرى، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، 2015م، ص 141.

الوحيد للمعرفة فإن هذا يعني، أنهم لا يرون أي عائق يمكن أن يحد من المعرفة إذا كانت الظروف أمام الحواس مهيأة في الاتصال بالأشياء التي يراد معرفتها أي أنهم أكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة.

ج. المذهب النقدي(كانط):

اهتم كانط بمشكلة المعرفة اهتماما أساسيا، وكانت فلسفته نقدية، اهتم بتحليل المعرفة تحليلا نقديا.

وقد عرفت نظرية **كانط** في المعرفة بالثورة الكوبرنكية، لأنها أعادت للعقل دوره الأساسي في فرض أشكال القوانين المعرفية، فأخضعت له الأشياء الحسية بعد أن كان يتكيف معها[1] أي بما أن للعقل دور مهم في فرض أشكال القوانين أخضعت له الأمور الحسية.

وقد نظر كانط إلى مشكلة المعرفة من زاوية ضرورة معرفة السبب أو الأسباب التي جعلت العلوم الرياضية والفيزيائية محلا للثقة ومثالا للمعرفة الصحيحة المفيدة لكن هذه المعرفة العلمية مادامت مجرد أحكام صحيحة صادقة، فإن مشكلة وجود الأحكام العلمية إنما تجد حلها في التفكير في المعرفة العقلية وعند الضرورة في التفكير في المعرفة الحسية وفي نقدهما.

ولقد عرف موقف كانط من مشكلة المعرفة تقلبا، إذ بعد إيمانه المطلق بقدرة العقل في بلوغ الحقيقة مجسدا في الأحكام التحليلية، تراجع عن موقفه ليعترف بضرورة الإيمان بعالم الوقائع كمعادلة أساسية في المعرفة متأثرا بالتجريبي دافيد هيوم، وهذا ما نلمسه في اعتراف كانط (أيقضني هيوم من سباتي الدوغماتي).[2]

---

(1)- شامل شاهين: نظرية المعرفة في الفلسفة الأوروبية المعاصرة، دار غار حراء، دط، دت، ص 20.

(2)- نقلا عن: الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى، ص 21.

ثالثا: نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي ما قبل إخوان الصفا

أ. عند اليونان

يعتبر السفسطائيون وسقراط وأفلاطون، من رواد البحث في نظرية المعرفة ومسائلها في عصر ما قبل الميلاد.

ويعتبر أفلاطون أول باحث جاد في نظرية المعرفة إذ حاول طرح أسئلة فيها مثل ما المعرفة؟ وما السمات الضرورية التي يجب أن تتوفر فيما نسميه معرفة؟

أفلاطون هو صاحب نظرية المثل في المعرفة، والتي ينسب المعرفة فيها إلى التعقل المحض، وهو الذي جعل موضوع المعرفة عالم المثل الذي يدرك بالعقل.

وعليه يكون أفلاطون أول من نادى بما يسمى (بالنظرية العقلانية في المعرفة).

والتي تتلخص في أن الأفكار العامة هي موضوع العلم القويم، فهي إذا حقيقة ولها مدلولات خارج الذهن.

وهذه الأفكار هي حقائق الأشياء، وهكذا فإن عالم الحقيقة ما هو إلا عالم المثل وعالمنا المحسوس هو عالم الوهم والخداع.[1]

كما توصل أفلاطون إلى التمييز بين المعرفة والظن أو الاعتقاد لأن السمة الرئيسية للمعرفة هي الصدق المطلق، أما الاعتقاد فهو يصدق أو يكذب.

وانتهى أفلاطون إلى أن أصل المعرفة وطريقها هو التعقل المحض، وهو التذكر لما كانت عليه النفس، ولما هو موجود فيها من عالم المثل التي هي طبيعته، ولما نسبته من معلومات عقلية مجردة بسبب حلولها في البدن.[2] أي أن أفلاطون أرجع موضوع المعرفة إلى عالم عقلي وهو عالم المثل.

---

[1]- شامل الشاهين: نظرية المعرفة في الفلسفة الأوروبية المعاصرة، ص14.

[2]- راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مطبعة المؤيد، الرياض، ط1، 1995م، ص 519.

الاتجاه الذي يمثله سقراط وأفلاطون يرى أن الحقيقة موجودة في ذاتها سواء أدركناها أم لم ندركها، وأن العقل هو سبيل المعرفة، وأما المعرفة الحسية فتمثل أدنى درجات السلم المعرفي، فهي تختلف ليس فقط باختلاف الأفراد، بل باختلاف الحالات في الشخص الواحد، لذلك فلا يعتمد عليها وحدها، [1] أي أن العقل عند سقراط وأفلاطون هو أساس المعرفة وأن المعرفة الحسية مخادعة وهي تمثل أدنى درجات السلم المعرفي.

وبعد أفلاطون جاء تلميذه أرسطو الذي جعل للتجربة الحسية مقاما مهما في المعرفة باعتبارها الأساس الذي تنتهي عليه المعرفة التي يقوم بها العقل، وبهذا: جدد أرسطو قضية المعرفة، فيما أثبت من عمل رئيسي للحواس، مما لم يقل به أستاذه أفلاطون، الذي قصر المعرفة على التعقل المحض،[2] أي أن أرسطو رفض نظرية المثل في المعرفة وانتقدها، وأعطى مقاما مهما للمعرفة الحسية، فأرسطو عكس أفلاطون الذي قصر المعرفة على التعقل المحض.

تتلخص نظرية المعرفة الأرسطية على الشكل التالي، تأتي النفس الإنسانية صفحة بيضاء، بمعنى أنها ليست فيها معرفة فطرية إطلاقا، ولكنها تمتاز على سائر النفوس الحيوانية بكونها عالمة بالقوة، أي فيها إمكانية أي استعداد تحصيل المعرفة، وهذه الإمكانية تتحقق بالفعل بواسطة الاختبار الحسي، ولذلك يقول أرسطو: «**لاشيء يصل إلى العقل إذا لم يسلك طريق الحواس**»[3]، و يقول أيضا: «**من فقد حسا فقد علما**». فالأصل إذا في نشوء المعرفة العقلية الكلية أنها معرفة حسية جزئية، والكليات تنشأ في النفس عندما تتوافر الاختبارات المتشابهة، فتجمع في الذهن الصور المتشابهة، فيضم الإنسان بعضها إلى بعض وينشئ منها مفهوما كليا بطريق الاستقراء، والملاحظ أن

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، دار المدى، سوريا، ط1، 1998، ص 193.

[2]- عبد الرحمان بن زيد الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، ص 56.

[3]- عبدو الحلو: الوافي في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، دط، دت، ص 45.

هذه المفاهيم العامة لا وجود لها في عالم الكيان، بل هي مجردة ويقتصر وجودها على الذهن فحسب.

وهكذا استمرت نظرية المعرفة مجال بحث متواصل من قبل الفلاسفة اليونان ثم فلاسفة العصور الهلنستية وتمثل هذا في مذهبي الرواقية والأبيقورية الماديين الذين قالوا بيقين المعرفة الحسية، وأن نظرية المعرفة في المنزلة الثانية بعد الأخلاق، يقول أبيقور «**إن الأصل في كل معرفة هو الإحساس فعن طريقه وحده تتم المعرفة، والحس لا يخطئ وإنما الذي يحدث أنه تأتي إلى الحواس عن الشيء الواحد صورة متعددة والناس تختلف في التقاطها لهذه الصور، فهذا يلتقط صورة وذلك يلتقط أخرى وهكذا...**».[1]

والمعرفة عند **أبيقور** على أربعة هي: الانفعال والإحساس والمعنى الكلي والحدس الفكري، أما الرواقيون فقد تحدثوا عن ثلاث وسائل للمعرفة: الإحساس، العقل والذاكرة.[2]

ومن خلفهم الفلاسفة المنتسبين للإسلام في الحضارة الإسلامية فبحثوا فيها من خلال ما ورثوا من فلاسفة يونانية وما لديهم من كتب مقدسة فقد اهتم العديد من العلماء العرب والمسلمين بنظريات المعرفة وهنا سنتناول نظرية المعرفة عند فلاسفة المشرق وهم الكندي والفارابي وابن سينا.

---

[1]- عبد الرحمان بدوي: خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1970، ص 53.

[2]- محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال: دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، دط، ص 183-189.

ب. المعرفة عند المسلمين

هدف المعرفة عند المسلمين أن المعرفة لديهم سواء من ناحية التعرف على الكون، أو من ناحية إثبات الحقائق فوق الطبيعة، أي إثبات وجود الله، فهي تهدف إلى اليقين، وقد حرص معظم فلاسفة الإسلام مثل الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم، إلى الوصول إلى الحقيقة.

- المعرفة عند الكندي

يرى الكندي بأنه يمكن الوصول إلى المعرفة عبر طرق ثلاث: الحس والعقل والوحي، كما يرى بأن المعرفة الوحيانية هي أتقن من قاسميها.[1]

فالمعرفة تبدأ بإدراك الحواس ومباشرتها لمحسوساتها، وهذا المحسوس غير ثابت لزوال من يباشر وسيلانه وتبدله في كل حال فهو الدهر كله في زوال دائم غير منفصل: وهو إن كان الإثبات له في الطبيعة فهو قريب من الحاس جدا لوجدانه (لإدراكه) بالحس، مع مباشرة الحس إياه فنحن ندرك بالحس أن هذه ورقة، وهذا كتاب وهذا ... إلى غير ذلك من المحسوسات الجزئية. فالأشياء الحسية موجودة لأنها مدركة بالحس مباشرة بلا واسطة، وهذه المباشرة هي الدليل على الوجود الخارجي. ومعنى هذا أن الإدراك المباشر الذي يأتينا به الحس هو طريق التيقن من وجود الشيء[2] إذن المعرفة الحسية هي الخطوة الأولى وهي تبدأ بإدراك الحواس ومباشرتها لمحسوساتها وأما الخطوة الثانية فهي المعرفة العقلية.

فالمعرفة العقلية تحصل بأمرين: بمبادئ فطرية في العقل يضاف إليها معقولات كلية من الخارج، وهذه المعقولات موجودة هي أيضا لأن العقل يدركها إدراكا مباشرا

---

[1]- حسن معلمي: إطلالة على نظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية، ترجمة: منصف حامدي، دار الولاء، بيروت، ط1، 2014، ص 25.

[2]- محمد عبد الرحمان مرحبا: الكندي، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1985م، ص 47.

فإذا عجز شخص عن إدراك المعقولات وعن القول بوجودها تبعا لذلك فليس معنى هذا أنها غير موجودة بل معناه ضعف الإدراك وعجزه.

الحس يدرك الوجود الحسي الجزئي، والعقل يدرك الوجود العقلي الكلي،[1] أي الأول يدرك المحسوسات والثاني يدرك المعقولات، وهذه المعقولات الكلية نعتمد عليها في تحصيلها على مبادئ عقلية موجودة في النفس بالفطرة يسميها الكندي (الأوائل العقلية المعقولة اضطرارا) يستمدها من طبيعة العقل ذاته لا من خارج. أما الذي يكتسب من الخارج فهو الأنواع والأجناس، وهذه الصور المعقولة الموجودة في الطبيعة. فالمعرفة العقلية إذن اضطرارية لا كسبية، فالمنهج الذي يتبعه الكندي إذن في معرفة العالم إنما يكون بالاعتماد على شهادة الحواس وما تقدمه من وقائع لا يشك العقل فيها.

العقل عند الكندي هو ضمانة الحس وبه نأمن الخداع واللبس والزلل، فالكندي يأخذ الظواهر الحسية شريطة تفسيرها في ضوء العقل.

إذن حتى الآن عرفنا طريقتين للمعرفة طريق الحس وطريق العقل، وهما مسيران للإنسان بما هو إنسان، على أن لا يشغل أحدهما بنفسه بل يتعاونان معا، وهناك طريق ثالث للمعرفة غير مسير لكل أحد بل يختص الله به من يشاء من عباده ويسميه الكندي (ذوي الدين والألباب)[2]، وهو طريق الوحي والإلهام الذي يختص الله به الأنبياء وحدهم. و يسمي الكندي المعرفة التي تأتي من هذا الطريق المعرفة الإلهية أو العلم الإلهي.

إذن فطرق المعرفة ثلاث حسية وعقلية و إشراقية الأولى تحصل بالحواس والثانية تتم بالاستدلال والاستنباط والبرهان، و الثالثة بالحدس والإلهام، أي أن الطريق

---

[1]- محمد عبد الرحمان مرحبا: الكندي، ص 48.

[2]- المرجع نفسه، ص 47.

الثالث هو طريق الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله واختارهم لحمل رسالته، ولكل طريق من هذه الطرق الثلاث وسائله وأدواته، ولكل منهجه الخاص به. فلا تطلب الإلهية بالحس والحسية بالإلهام، كما لا ينبغي أن نلتمس في كل مطلوب المعرفة البرهانية، إذ البرهان لا يطلب إلا بعض الأشياء دون البعض.

و**الكندي** يؤكد على الدين كمصدر للمعرفة مادامت هناك حقائق غيبية، لا تستطيع الحواس إدراكها ولا العقل تمثلها، لذا فالأنبياء يمدون بحقائق حيث نؤمن بها قلبا وبالمقابل هناك طريق إضافي للتعامل معها، من خلال تصفية جوهر النفس (التصوف) وهو بين أن للحواس والعقل حدود لا يمكن تجاوزها، فضلا عن تفاوت الناس في معرفتهم كون حظوظهم من التعليم مختلفة ورغباتهم متباينة وحواسهم ليست بنفس الدرجة من القوة، ولا إمكاناتهم العقلية متساوية، ولكن هذا لا يعني أن الإنسان هو الذي يضع عالمه المعرفي بل الحقائق تبقى حقائق ولها وجود موضوعي، فالموضوع المعرف مستقل بوجوده يتحول إلى معرفة بعد إدراكه، فالمعرفة عند الكندي مكتسبة وليست فطرية.[1]

- ثانيا المعرفة عند الفارابي

أما الفارابي هو الآخر يرى أن المعرفة ثلاثة أنواع:

أولها: ما تحصله الحواس من المحسوسات.

ثانيهما: ما تحصله عن طريق العقل.

ثالثهما: ما يأتي إلى الإنسان عن طريق التنسك الذي يرتفع بصاحبه عن علائق الحس و نواشئ المادة.[2]

---

[1]- علي هادي طاهر الموسوي: نظرية المعرفة عند الكندي، مجلة آداب البصرة، ع55، 2011، ص 407.

[2]- محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الجيل، بيروت، ط2، 1999، ص 314.

ويرى الفارابي أن الحس يدرك الجزئيات بينما العقل يدرك الكليا، كما أن إدراك الجزئيات يسبق إدراك الكليات، أي أن المعرفة الحسية سابقة عن المعرفة العقلية ولكل منهما إدراكه الخاص. فالمعرفة الحسية تدرك الجزئيات والعقل يدرك الكليات.

ويعتقد الفارابي بأن الإحساس يحصل بواسطة آلات الحس بحيث تكون منفعلة كما أن إدراك الصورة المعقولة يحصل بواسطة الصورة المحسوسة، مما يجعل من الضروري أن تكون الصورة المعقولة مطابقة (للمحسوس) وإلا فإنها لا تكون صورتها المعقولة، كما أن النفس تدرك المعقولات والكليات بدون وساطة.[1]

ويرى الفارابي أن مبدأ المعرفة هو الحس الذي يشكل الأرضية التي تؤسس لتحقيق المعقولات.

وتتأسس المعرفة العقلية عند الفارابي على نظرية العقول العشرة، وكيف أفاض العقل الإيجابي أو الفعال المعرفة على العقل الهيولي فصيره من القوة إلى الفعل وحوله إلى عقل مستفاد.

هذا الفيلسوف في الحق هو الذي رسم الخطوط العريضة لنظرية العقول التي أثرت في جميع فلاسفة العصر الوسيط من مسلمين ومسيحيين ويهود ونظرية العقول عند الفارابي مرتبطة أتم الارتباط بإلهياته، ومذهبه في نشؤ الكون العام الذي هو عنده كل متماسك، تتصل أجزاؤه اتصالا محكما ويكمل بعضها البعض، في انسجام يعتبر غاية في الاتساق، وفي هذا يعثر الباحث على ارتباط العمليات العقلية وإمكان وجودها بين المعرفة عند هذا الفيلسوف، وتلك الإلهيات التي يلتقي المرء فيها بتأثيري أرسطو أفلاطون.

---

[1]- حسن معلمي: إطلالة على نظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية، ص 27.

فمن أرسطو يستعير نظريته عن الكواكب، ولكن بعد أن خلع عليها التقدم الإسلامي شيئا من البساطة جعلها أقرب إلى الفهم وأدنى إلى الألفة،[1] نشؤ الكون عند الفارابي متماسكا تتصل أجزاؤه اتصالا محكما، وهو يعتبر في غاية الاتساق والانسجام، الفارابي متأثر أشد التأثر بأرسطو وأفلاطون، ومن أفلوطين –عن طريق رسالة (ربوبية أرسطو)- اقتبس الصورة العامة لنشأة العالم والكائنات العلوية والسفلية متتبعا في ذلك القانون الذي يتجه من الواحد إلى الكثرة، ومن الأزلي الثابت إلى الممكن المتغير والذي تتفق خطوطه العريضة مع المبادئ الإسلامية أكثر من اتفاقها مع المذهب الأرسطي المادي،[2] نظرية المعرفة العقلية عند الفارابي تصدر من لدن الأول وتظل نازلة بوساطة العقول المجردة حتى تصل إلى النفس البشرية ويسجل الفارابي إلى جانب المعرفة العقلية اليقينية وسيلة من نوع آخر، أو علاقة بين النفس البشرية والحقيقة العليا، وهي العلاقة التصوفية التي تصل إليها النفس على إثر تخلصها من علائق العالم المحسوس.

- **المعرفة عند ابن سينا**:

يرى ابن سينا أن وسائل المعرفة الإنسانية يمكن تحديدها في ثلاث، وهي الحواس والعقل والحس أو البصيرة، ولكنه يركز على الحس والعقل، وهنا كانت المعرفة أقسام ثلاث: الحسية والعقلية والذوقية أو العرفانية.[3]

ويقسم الحس إلى ظاهر وباطن، أم الحس الظاهر فهو الحواس الخمس، أما الحس الباطن فهو الحس المشترك، والحافظة والوهم والمخيلة والمتخيلة.[4]

---

[1]- محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في المشرق، ص 314.

[2]-المرجع نفسه، ص 315.

[3]- فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق، دار القاهرة، دط، دت، ص 350.

[4]- حسن معلمي: إطلالة على نظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية، ص 37.

إن المعرفة الحسية تحصل عند اتصال الحس بالعالم المحسوس في وسط ملائم، فتحصل صورة المدرك في الذات المدركة في عملية فعل وانفعال لا محالة، ثم ينتقل الانفعال إلى الحس الباطن، حيث الحس المشترك بخزانته الحافظة ليميز المحسوس من غيره من الموجودات، وأما الوهم فهو القوة المدركة للامادي من خلال المادي وذلك بإدراك الرمز، كما هو الحال في الحيوانات فالشاة تدرك العداوة من خلال الذئب، لكن المعرفة الحسية والتجربة تبقى في نظر ابن سينا معرفة نسبية تحتمل الكثير من الخطأ ولا تتجاوز عالم المادة، وإن الانتقال من الصورة الحسية إلى الصورة الخيالية ومنها إلى الصورة العقلية هي مرحلة لاحقة، وإنما من خلال عملية تجريد من بعض خصوصياتها فالصورة الحسية هي الصورة الخيالية نفسها مجردة من بعض الخصوصيات الخيالية، فالتجرد عملية اختزال وصقل وتصفية للصور ذاتها لتنتقل إلى عالم أرفع.[1]

ويقسم ابن سينا العقل اعتباريا أقسام أربعة هي: العقل الهيولاني، العقل بالملكة العقل بالفعل، والعقل المفاد، وهذا التقسيم الرباعي هو حيثية علاقة العقل بموضوع معرفته وإحاطته به إيجابا وسلبا، فالعقل المفاد هو بلحاظ ما أحاط به العقل، والعقل الهيولاني أو المادي فهو فيما إذا لم يكن لدى العقل شيء يذكر عن موضوع المعرفة وأما إذا أحاط العقل بشيء من موضوع معرفته، فهو العقل بالفعل أو بالملكة، وذلك حسب كيفية تحصيله له.[2]

إن هذه المراتب الأربع للعقل هي قوى للنفس يخدم وبشكل ترتبي الأدنى منها الأعلى، ويأتي على رأس هذا الترتيب العقل المفاد وهو عقل قدسي، ويمثل الغاية

---

[1]- فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق، ص 349-362.

[2]- المرجع نفسه، ص 349.

القصوى، ويأتي بعده العقل بالفعل، ثم العقل بالملكة، ثم العقل الهيولاتي بما فيه من الاستعداد.

والعقل في نظر ابن سينا غير قادر على إدراك حقائق الأشياء لأن المعرفة العقلية أيضا كالحسية لها شروط هي مقولات لا تندرج تحتها المدركات كالزمان، المكان الوضع والعلية وغيرها، وما يكون خارجا عنها فاللعقل اتجاهه أحد موقعين: إما أن ينكر ووده أو يسلم به، فمن الضروري التمييز بين أمرين هما: إدراك العقل للشيء ووجود الشيء في حقيقته وحد ذاته، والأول ليس سوى معرفة ظاهرية تحتمل الخطأ ويقع فيها الخلاف.

إن للعقل الفعال حضورا أساسيا في نظرية المعرفة عند ابن سينا، حيث أنه آخر العقول العشرة القدسية الصادرة عن واجب الوجود، وهو فعل محض لا قوة فيه، بل يحتوي على كل صور الموجودات في العالم وهو مصدر المعرفة، فيشرق بنوره على كل العقول البشرية، ولا يمكن حصول المعرفة إلا بالاتصال به بأحد طريقين: إما برحلة الحكيم من المحسوس إلى المعقول، وإما بامتلاك مخيلة شديدة القوى، ويرى صاحبها باليقظة ما يراه غيره النائم من الغيبيات، كما هو الحال عند الأنبياء عليهم السلام والكليات عند ابن سينا هي الوجود الأولاني السابق على التجربة عند العقل الفعال الإلهي، وإن كانت لاحقة للتجربة بالنسبة للعقل الإنساني، ولا وجود لها منحاز في الخارج، بل وجودها يعين وجود أفرادها،[1] فالكليات إذن هي علة ومصدر للمعرفة بالنسبة للعقل الفعال، ومعلولة لها بالنسبة للعقل الإنساني.

وزبدة الكلام، أن ابن سينا يعتبر أن الحس هو الأرضية التي تهيأ لحصول العلم والمعرفة بالتصورات الجزئية، لكن عند إدراك الكليات والتصديقات فإن العقل هو

---

[1]- ابن سينا الحسين بن علي: النجاة، المكتبة المرتضوية، طهران، ط2، 1406هـ، ص 158.

الوسيلة الأصلية لتحقيق ذلك،[1] وعليه يكون للعقل أهمية كبرى في تبلور نظرية المعرفة عن ابن سينا

[1]- حسن معلمي: إطلالة على نظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية، ص 39.

الفصل الثاني

إخوان الصفا الهوية والمرجعية الفكرية

أولا: ملامح القرن الرابع الهجري

أ. الحياة السياسية

ب. الحياة الاجتماعية

ج. الحياة الثقافية

ثانيا: إخوان الصفا أصلهم ومبادئ فلسفتهم

أ. من هم إخوان الصفا؟

ب. مبادئ فكر إخوان الصفا

ج. رسائل إخوان الصفا

د. أهدافهم

أولا:ملامح القرن الرابع الهجري

يفضل الكثير من الدارسين والباحثين لدى البحث في الشخصية الفكرية للفلاسفة والعلماء الإشارة ولو بإيجاز إلى العصر الذي أنجبهم وطور من معارفهم باعتبار أنهم نتاج ملامحه.

وفي موضوعنا هذا نرى من المفيد بل من الضروري استعراض تلك الملامح وإبراز الظواهر التي كانت متحكمة في القرن الرابع الهجري – عصر إخوان الصفا- وسنقتصر في هذا المبحث على إلقاء نظرة عامة على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

أ. الحياة السياسية:

تميزت الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري بالتدهور وبلغت فيها الخلافة مبلغا من الضعف استغله الطامعون، خاصة بعد مقتل الخليفة المتوكل- 247هـ/869م على يد الأتراك، حيث أن الجيش أصبح مليئا بالعناصر التركية وأصبحوا يتحكمون في كل سلطات الخليفة، كما أصبح مصير الخليفة بيد القائد التركي، فهو الذي يتحكم في تعيينه أو عزله كما يتحكم حتى في طريقة قتله.[1]

وخلف **المتوكل** ابنه **المنتصر** (222-248هـ) الذي لم تتغير في عهده ظروف الخلافة بل ازداد الأمر سوء؛ إذ خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، تنفيذا لأوامر الأتراك، ووضح لهما أنه قام بهذا الأمر خوفا عليهما.

واشتدت الأزمات في عهد **المقتدر** الذي تولى الحكم ولم يتجاوز عمره الثالثة عشر سنة، وقد عكف المقتدر على لذائذه وشهواته تاركا أمور الدولة لغيره، كما أن الوزراء والمهيمنون على الحكم لم يهتموا بمشاكل الشعب، وإنما انصرفوا إلى جمع المال والعقارات والأراضي بكل الطرق والأساليب. وقد تداول على الوزارة اثني عشر

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم غايتهم، ص20.

وزيرا، في حكم فاسد دام نحو خمس وعشرين سنة، وانتهى حكم المقتدر بمقتله في أبشع صورة.[1]

ثم تولى الخلافة بعد ذلك حكام أهم ما يجمعهم الضعف وسفك الدماء وجمع المال وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن دخل البويهيون العراق سنة333هـ/945م واستولوا على كل مفاصل السلطة، وأصبحوا هم الآمرون الناهون وكل الأعمال تمر عليهم، لأن الوزارة منهم، ويحكمها التابعون لهم.[2]

ب. الحياة الاجتماعية.

أبرز الظواهر التي كانت تتحكم في المجتمع العباسي آنذاك، هي الخصومات المذهبية، والتعصب القومي والانحلال الخلقي.

أما الخصومات المذهبية فقد بدأت مع البدايات الأولى لمسألة الحكم،و باتساع الرقعة الإسلامية، وتكاثر المسلمون وتعددت الفرق والمذاهب الإسلامية، إذ دخل في الدين الجديد شعوب وأمم لهم خصائصهم العقلية والنفسية والبيئية، فاتبع كل منهم مذهبا أو فرقة يرى فيها مايحقق غايته.

ولم يكن هذا الاختلاف المذهبي ليقف عند المناقشة والجدل، بل كان يصل إلى استخدام السواعد، وما تستطيع السواعد أن تحمله، كما كان يصاحب تلك الحركات قيام بعض الدعوات الغربية.[3]

أما فيما يخص الصراع القومي أو التعصب العرقي بين العرب وغيرهم، فكان دائرا بين:

العرب: وهم يعتزون بتاريخهم كقبائل مستقلة قاومت المحتلين، وبمزاياهم وخصائصهم وأن محمد صلى الله عليه وسلم منهم، وأن الإسلام نشأ بينهم، وأن القرآن نزل بلغتهم.

---

[1]- أحمد أمين: ظهر الاسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط6، دت، ص33.

[2]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص23-24.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفرس: وهم يعتزون بتاريخهم كإمبراطورية واسعة لأرجاء وشعب ذي حضارة موغلة في القدم، وبأن الدولة العباسية مدينة لهم بنشأتها وقوتها وتصورها.

الترك: وهم يفتخرون بقوة أجسامهم وبأسهم في الحرب، وبأنهم حماة الخلافة السنية من تآمر الشيعة والفرس عليها.

والظاهرة الثالثة التي ميزت هذا العصر هي الانحلال الخلقي، ومن مظاهره:

- نكث العهد لم يكن للعهد في هذا القرن كثير الاحترام.
- الرشوة: باتت الرشوة في عرف المسؤولين أمرا مشروعا.
- السلب والنهب واللصوصية.

أي أن هذا العصر تميز بالفساد والانحلال الخلقي إضافة إلى هذه الملامح المنكرة في ذلك العصر، كانت هناك ملامح أخرى لانحلال الخلق الإسلامي في مجتمع يدعي أنه قائم على الدين، وأن السلطة الحاكمة تستمد شرعيتها من الإسلام. وأغلب الخلفاء كانوا عاقرين للخمر، وكانت مباحة للعامة فتح دور الملاهي وتجارة العشق والغرام كما انتشرت في تلك الفترة ظاهرة الشذوذ الجنسي والتغزل بالغلمان.[1]

ج. الحياة الثقافية:

على الرغم من سوء الحياة السياسية والاجتماعية في هذا القرن، إلا أن العلوم بجميع فروعها كانت في تقدم ملحوظ، ومن الممكن أن نقول بأن القرن الرابع الهجري كان العصر الذهبي للعلوم والمعارف الإسلامية والفلسفية.

ففي هذا العصر امتزجت الثقافات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية بالثقافات الإسلامية فالفرس والهنود كانوا يتثقفون بالثقافة العربية وينتجون فيها والسريانيون يواصلون العمل لنشر الثقافة اليونانية وإذا ما ألقينا نظرة عامة على تلك

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم، ص32.30.

العلوم الإسلامية المتوارثة لليوم، نجد نموها واكتمالها كان في القرن الرابع الهجري الذي شهد المشاهير من العلماء في كل فن.[1]

وقد كان لامتزاج العنصر العربي بالعناصر الأجنبية الأخرى، تأثير في الحياة العقلية والثقافية لأن لكل عنصر من هذه العناصر عادته وتقاليده وأفكاره وآدابه التي تميزه عن الآخر، وربما كان لهذا الامتزاج بين العرب والفرس والهنود أثر كبير في هذا العصر لأن مزج الثقافات المختلفة مع بعضها البعض يؤدي إلى خلق بيئة تتمتع بقدر كبير من الخصائص والمميزات المختلفة، والفلسفة اليونانية في هذا العصر فتحت مجالا للمسلمين حتى يطّلعوا على مختلف العلوم، ويتمكنوا من إنشاء فكر خاص بهم فظهر في هذا العصر طائفة من الفلاسفة كالفارابي، وابن سينا وأبوا العلاء وإخوان الصفا.

كما شهد هذا القرن جهود المسلمين لفهم ذات الله والإنسان والحياة، والتوفيق بين العقل والنقل، فكان عصر ازدهار للأدب العربي، وبداية إحياء الفن الإسلامي.[2] ففي هذا العصر أصبح للمسلمين وعي بتعاليم دينهم وكان من بين الذين يبحثون في الله والإنسان والحياة جماعة إخوان الصفا.

كما تميز هذا العصر بتشجيع الحكماء للعلماء ورعايتهم العظيمة للعلم والمعرفة ونتيجة لهذا ازدهرت الحركة الفلسفية والعلمية، ففي عهد المنصور ترجمت أهم مؤلفات أرسطو، وشروح الإسكندرانيين عليها وبعض مؤلفات أفلاطون، وأهم كتب جالينوس في الطب، ومن أشهر المترجمين في هذا العصر نجد **عبد الله بن المقفع ويوحنا البطريق وحنين بن إسحاق، وقسطا بن لوقا البعلبكي، وثابت بن قرة، وسنان**

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم، ص37.

[2]- أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط7، دت، ص103.

بن ثابت بن قرة وغيرهم[1]، أي أن الحكام كان لديهم دور أساسي في التطور الثقافي والفكري بفضل تشجيعهم للعلماء ورغباتهم. وبهذا كان القرن الرابع الهجري عهد ازدهار علمي وثقافي.

هكذا وبناء على ما سبق ذكره يتبين لنا أن العصر الذي ظهر فيه إخوان الصفاء كانت فيه الكثير من الأحداث والمتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية أثرت كلها في ظهور إخوان الصفا.

[1]- عباس محمد سليمان: الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، د. ط، 1998، ص 22،24.

ثانيا: أصل إخوان الصفا ومبادئ فلسفتهم

أ. من هم إخوان الصفا؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، تجدر الإشارة إلى أن عبارة(**إخوان الصفا**) وردت في اللغة العربية فمن العصر الجاهلي وردت شعرا حيث يقول **أوس بن حجر**:

لعمرك ما آسى طفيل بنفسه *** بني عامر إذا تابت الخيل تدعى

وودع إخوان الصفا بقرزل *** يمر كمريخ الوليد المفـــــزع[1]

وكذلك وردت في قول **أبي البراء بن ربعي النعقي**.

أولئك إخوان الصفا رزئتهم *** وما الكف إلا أصبع ثم أصبع[2]

وبالعودة إلى تسمية **جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا**، التي نحن بصدد دراستها فمن بين أسباب التسمية ما ذهبوا إليه هم من أن اسمهم مأخوذ من صفوة الأخوة، إذ قالوا «**فينبغي لنا أيها الأخ، أن نعلم أنه إذا أردنا أن نكون إخوانا أصفياء فعلينا أن نبتدئ أولا بالكشف عن الجهالات المتراكمة غشيتنا لأنها أصل الشرور..**».

وهناك من يذكر أن هذه الجماعة أخذت اسم إخوان **الصفا** عن قصة **الحمامة المطوقة** في كتاب **كليلة ودمنة**، فقد ورد اسم إخوان الصفا في أول هذا الباب حيث طلب دبشليم الملك من بيديا الفيلسوف أن يحدثه عن "إخوان الصفا" كيف يبتدئ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض[3] قال الفيلسوف: «**إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئا فالإخوان هم الأعوان على الخير كله، فإنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل محبة الإخوان، فالإنسان الذي قد أعطي العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز**

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص67.

[2]- محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، تقديم عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص23.

[3]- يوسف فرحات: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، الناشر ترادكسيم شركة مساهمة سويسرية، جينيف، ط1، 1986، ص68.

والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل الصفاء وإتلافهم في الصحبة»[1]، من خلال هذا القول يظهر بأن الإخوان يكون تعاملهم فيما بينهم قائم على المحبة والألفة وأن إخوتهم لا يعادلها شيء فصحبتهم قائمة على الحب والخير لبعضهم.

والرأي نفسه نجده عند المستشرق **جولد تسهير** ، خاصة وأن هذه القصة تدور حول ما إذا كانت الحيوانات قد صفت أخوتها وتبادلت المعونة فيها وبينها لتستطيع الفكاك من شباك الصياد، وغيرها من المخاطر، كما أن فيها الإيثار إذ الحمامة تطلب إلى الجرذ أن يقطع شباك صديقاتها قبل شبكتها وتقدم نجاتهن على نجاتها.[2]

كما أنهم سموا أنفسهم:"**إخوان الصفا وخلان الوفاء وأهل العدل وأنباء الحمد**" وهذه التسمية أشاروا إليها في رسائلهم وهي العبارة التي يبدؤون بها أي رسالة وقد اتخذوا هذا الاسم للدلالة على حقيقة حالهم.وهم يصفون أنفسهم بهذه الصفات الأربع ترغيبا لغيرهم[3] أي أطلقوا على أنفسهم إخوان الصفا ليظهروا أمام الناس أوفياء ومخلصين.

ولا تذكر كتب السير والتراجم وغيرها من المؤلفات القديمة أو الحديثة الأسماء المشكلة لهذه الجماعة، إلا ما أورده بعض الفلاسفة والمؤرخين **كالتوحيدي** و**ابن القفطي** و**الشهرزدي**، يذكرون لنا أسماء بعض الإخوان الذين ساهموا في كتابة هذه الرسائل، منهم **زيد ابن رفاعة، أبو سليمان البستي** المعروف **بالمقدسي** و**علي بن هارون الزنجاني** و**أبوأحمد المهرجاني**، و**العوفي** وغيرهم، وصحبهم وخدمهم.[4]

---

[1]- محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، ص22.

[2]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص68.

[3]- عبد اللطيف محمد العبد: دراسات في الفلسفة الإسلامية، دط، دت، ص355.

[4]- هنري كوربان بالتعاون مع السيد حسين نصر وعثمان يحي، تاريخ الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط2، 1998، ص210.

والجدير بالذكر، أن أعضاء الجماعة بحسب نظام الإخوان يصنفون في أربعة مراتب متفاوتة، تفاوت استعداد النفوس الإخوان لقبول المعارف وتهذيب النفس.[1] وهذه المراتب هي:

- **مرتبة الإخوان الأبرار الرحماء**: وهم المبتدئون البالغون من العمر خمس عشرة سنة حتى الثلاثين، ويوصفون بصفاء الجوهر والنفوس، وجودة القبول وسرعة التصور.

- **مرتبة الإخوان الأخيار والفضلاء**: وهم الذين ما بين الثلاثين والأربعين (مرتبة الرؤساء ذوي السياسات وهي مراعاة الإخوان وسخاء النفس وإعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنن على الإخوان).

- **مرتبة الإخوان الفضلاء الكرام**: وهم الذين ما بين الأربعين والخمسين من العمر (مرتبة الملوك ذوي السلطان والأمر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف والمداراة في إصلاحه) هؤلاء هم علماء الإخوان يعرفون النواميس ويدنون العقائد ويوضحون المناهج، ويدافعون عن الحقائق ويعملون على نشرها وعلى بث الدعوة.[2]

- **مرتبة الكمال**: الذي يدعى إليه جميع الإخوان من المراتب وهي للذين تجاوزا الخمسين، قال الإخوان: «**وهي المرتبة الممهدة للمعاد والمفارقة للهيولى وعليها تنزل قوة المعراج، وبها تصعد إلى ملكوت السماء فتشاهد أحوال القيامة من البعث والنشر والحشر والحساب والميزان والجواز على الصراط والنجاة من النيران ومجاراة الرحمن ذي الجلال والإكرام**»[3] وهي الممهدة للصعود إلى ملكوت السماء وإليها ينتمي الأنبياء.

---

[1]- عمر فروخ: إخوان الصفا، درس، عرض، تحليل، مكتبة منيمنة، بيروت، ط2، 1953، ص26.

[2]- حنا الفاخوري خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1993م، ص232.

[3]- المرجع نفسه، ص232.

تلك مراتب الإخوان وتلك هي الطريق التي يجب أن يسلكها من أراد الانتماء إلى جمعية الإخوان السرية، وهي أشبه بطريق النساك وأرباب الزهد مع نزعة فلسفية عقلية، والإخوان كما نرى جمعية منظمة لا يقبل فيها إلا من اتصف بصفات جليلة فإخوان الصفا كوَّنوا جماعتهم على أسس متينة من المحبة والمودة قائمة على الأخوة الحقة الصادقة وهم إخوان أوفياء كان عملهم نشر دعوتهم والتبشير بآرائهم ومبادئهم الدينية والفلسفية والاجتماعية.

وقيل في شأن مذهبهم أنهم جمعية من الشيعة الباطنية عامة والإسماعيلية خاصة يدل على هذا أقوالهم وتعاليهم، فهي حافلة بنزعة التشيع متأثرة شديد التأثر بالإسماعيلية والباطنية والقرمطية.[1]

هذا فيما يتعلق بأصل تسميتهم ومذهبهم، أما ما يخص زمان ومكان تواجدهم فالمسألة محل خلاف[*]، ذلك أنهم يشكلون جماعة سرية أحاطت نفسها بستار التكتم لكن الغالب أن رسائلهم كما وصلت إلينا تعود إلى القرن الرابع الهجري(القرن العاشر الميلادي)، ولا نجد في رسائل إخوان الصفا ما يدل صريحا على تحديد مقر هذه الجماعة ومكان تأسيس جمعيتهم، وكل ما لدينا هو كلام **أبي حيان التوحيدي** الذي نقله عن **القفطي**، ثم نقله عنهما كافة من بحث في موضوع إخوان الصفا، أنها نشأت في البصرة، حيث قال **أبو حيان التوحيدي** في معرض حديثه، عن **زيد بن رفاعة**: «**وقد**

---

[1]- حنا الفاخوري، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ص227.226.

(*) هناك آراء متضاربة حول تاريخ ظهور إخوان الصفا، فهناك مواقف مختلفة لعدد من الباحثين، فالدكتور طه حسين يرى أن ظهورهم كان في منتصف القرن الرابع الهجري، أما عمر الدسوقي فيذهب في رأيه إلى القول بأننا لم نسمع بجماعة إخوان الصفا وبرسائلهم قبل سنة 334هـ، في حين ذهب محمد فريد حجاب إلى استعراض بعض الاتجاهات نذكر من بينها الاتجاه الأول، حيث يذهب أغلب الباحثين إلى إرجاع ظهور إخوان الصفا إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).وهناك اتجاه آخر يرى أصحابها كالأستاذ عارف ثامر والدكتور النشار أن تاريخ جماعة إخوان الصفا يعود إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين .(محمد فريد حجاب الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ص 44)

أقام- أي زيد- في البصرة زمنا طويلا وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة». [1]

ولئن كانت البصرة هي المكان الذي نشأت فيه جماعة إخوان الصفا، كونها حاضرة العلم والثقافة وقتئذ، فإن أفكارهم تجاوزت حدود هذه المدينة إلى بغداد وغيرها من المدن، وهذا ورد في الرسالة الثامنة والأربعين، إذ يقولون: «**إن لنا إخوانا وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم، متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من أولاد الملوك، والأمراء والوزراء والعمال والكتاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين، والتجار والتناء، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمنصرفين وأمناء الناس**».[2] وهذا يدل على أنهم أشخاص كثيرون من مختلف الفئات والطبقات.

ب. مبادئ فكر إخوان الصفا

من أهم المبادئ التي أرسى عليها الإخوان فلسفتهم، والتزموا بها، نذكر:

- **التستر والتكتم:**

نصت رسائل الإخوان على أن اجتماعاتهم ينبغي أن تكون في مكان سري، لا يتسنى لغريب أن يتسلل إليه وأن تبقى أحاديثهم ومقرراتهم طي الكتمان، فلا يطلع عليها أحد إلا ما أجازوا نشره، فهذا يعلن في الوقت المناسب لقوم مختارين وبين أن هذا إنما هو من قبيل الأخذ بالتقية، والتقية من مبادئ الشيعة.

- **التوسع والانتشار:**

يعمل الإخوان جاهدين على نشر تعاليمهم وتوسيع نطاق نشاطهم، بتأسيس فروع لجمعيتهم في الأقطار الإسلامية، وانتدب المعتمدون من الإخوان للعمل على الاتصال

---

[1]- نقلا عن، محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، ص56.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: مج4، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1957، ص188.

بطبقات الناس كلها. ومع رغبتهم الشديدة في تنمية الجمعية بزيادة عدد أعضائها فإنهم لم يجعلوا الانضمام إليها متاحا لمن شاء من الناس، بل جعلوه موضوعا لعملية اختيار دقيق، فقد حرصوا على التعرف إلى أخلاق المرشح وأحواله وتفحص أمر دينه ونوع تفكيره.[1]

- **التعاون**:

يوصي الإخوان بالعطف الشديد على الأخ وإيثاره حتى على أدنى الأقرباء، لأن صلة الأخوة روحية في حين أن صلة القرابة مادية قوامها المصلحة لا غير.فالرابطة الروحية تجعل الإخوان يشعرون شعورا واحدا ويفكرون تفكيرا واحدا، حتى لكأنهم نفس واحدة في أجساد متفرقة، والتقارب الروحي يمهد السبيل إلى مبدأ آخر له أهمية قصوى هو مبدأ التعاون في كل شيء.[2]

ج. رسائل الإخوان:

وضع إخوان الصفا لتنشئة من يريد الانتماء إلى جمعيتهم إحدى وخمسين رسالة قسموها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: ويشمل الرياضيات، وألفوا فيها أربعة عشر رسالة، والمبحث الأول في الرياضيات على اختلاف أنواعها، فيثاغوري وأفلاطوني، في أوله العدد والهندسة والفلك والفنون العملية وهو في آخره المنطق متأثر بأرسطو، حيث يتبع منطق أرسطو بترتيبه وأسمائه، [3] أي أنهم أخذوا العدد والهندسة والفلك والفنون العملية عن الفيثاغوريين وأفلاطون، أما المنطق فهو أرسطي خالص، ويشمل هذا المبحث على أربعة عشر رسالة رياضية تعليمية:

1- الرسالة الأولى في العدد (ماهيته وكميته وكيفيته).

---

[1]- يوسف فرحات: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ص68.

[2]- المرجع نفسه، ص69.

[3]- محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، ص 93.

2- الرسالة الثانية في الهندسة (بيان ماهيتها، وكمية أنواعها، وكيفية مواضيعها).

3- الرسالة الثالثة في النجوم (صفة البروج وسير الكواكب، ومعرفة تأثيراتها في هذا العالم).

4- الرسالة الرابعة في الموسيقى (البيان بأن النغم والألحان الموزونة لها تأثيرات في نفوس المستمعين لها).

5- الرسالة الخامسة في الجغرافيا (يعني صورة الأرض والأقاليم والبيان بأن الأرض كروية الشكل، وأنها حية تشبه بجملتها صورة حيوان نائم).

6- الرسالة السادسة في النسب العددية والهندسية (كمية أنواعها وكيفية تركيبها).

7- الرسالة السابعة في الصنائع العلمية النظرية (وكمية أقسامها وكيفية مراتبها وإيضاح طرائقها ومذاهبها).

8- الرسالة الثامنة في الصنائع العملية والمهنية (وتعديد أجناس الصنائع العملية والحرف).

9- الرسالة التاسعة في بيان اختلاف الأخلاق (وأسباب اختلافها وأنواع عللها، ونكت من آداب الأنبياء وسننهم وزبدة من أخلاق الحكماء وسيرهم).

10- الرسالة العاشرة إيساغوجي (هي الألفاظ الستة التي يستعملها الفلاسفة في المنطق ، وفي أقاويلهم وبراهينهم).

11- الرسالة الحادية عشر في قاطيغورياس (وهو البيان عن المعقولات الكليات وهي الألفاظ العشرة التي كل واحد منها جنس من الموجودات كلها).

12- الرسالة الثانية عشر في باريمانياس (هي الكلام في العبارات وأداء المعاني على حقها والإبانة عنها).

13- الرسالة الثالثة عسر في الأنالوطيقا الأول (وهي القياس والغرض بها هو بيان كمية القياس الذي يستعمله الحكماء والمتكلمون).

14- الرسالة الرابعة عشر في الأنالوطيقا الثانية وهي البرهان.[1]

القسم الثاني:ويتعلق بالرسائل الطبيعية، وتناولوا فيها البحث في سبع عشرة رسالة:

1- الرسالة الأولى في سمع الكيان ويسمى السماع الطبيعي.

2- الرسالة الثانية في صور العالم.

3- الرسالة الثالثة في الكون والفساد.

4- الرسالة الرابعة في الآثار العلوية.

5- الرسالة الخامسة في تكوين المعادن.

6- الرسالة السادسة في ماهية الطبيعة

7- الرسالة السابعة في أجناس النبات

8- الرسالة الثامنة في أجناس الحيوان.

9- الرسالة التاسعة في ترتيب جسد الإنسان.

10- الرسالة العاشرة في الحواس والمحسوسات

11- الرسالة الحادية عشر في آثار الأفلاك في الجنين.

12- الرسالة الثانية عشر في الإنسان عالم صغير.

13- الرسالة الثالثة عشر في ترقي النفس في أجسادها.

14- الرسالة الرابعة عشر في طاقة الإنسان للمعارف.

15- الرسالة الخامسة عشر في ماهية الموت والحياة.

16- الرسالة السادسة عشر في اللذة والآلام.

17- الرسالة السابعة عشر في علل اختلاف اللغات.[2]

---

[1]- فوزي خليل الخطيب: تصنيف المعارف عبر العصور، دار اليازوردي، عمان، ط1، 2011، ص 98.

[2]- مصطفى غالب: فلاسفة من الشرق والغرب، منشورات حمد، بيروت، ط1، 1968م، ص 39.

القسم الثالث:و يتعلق بالعقليات، وفيه عشرة رسائل:

1- الرسالة الأولى في المبادئ العقلية على رأي الفيثاغوريين.

2- الرسالة الثانية في المبادئ العقلية على رأي إخوان الصفا.

3- الرسالة الثالثة في العالم إنسان كبير.

4- الرسالة الرابعة في العقل والمعقول.

5- الرسالة الخامسة في العالم مبدأه وترتيبه وغايته.

6- الرسالة السادسة في ماهية العشق الإلهي.

7- الرسالة السابعة في البعث والحساب والمعراج.

8- الرسالة الثامنة في الحركة.

9- الرسالة التاسعة في العلل والمعلولات.

10- الرسالة العاشرة في الحدود والرسوم.[1]

القسم الرابع: يتعلق بالرسائل الإلهية، وفيه إحدى عشرة رسالة:

1- الرسالة الأولى في الآراء والمذاهب في الديانات الشرعية الناموسية والفلسفية.

2- الرسالة الثانية في ماهية الطريق إلى الله.

3- الرسالة الثالثة في بيان اعتقاد إخوان الصفا ومذاهب الربانيين لإلهين.

4- الرسالة الرابعة في كيفية عشرة إخوان الصفا.

5- الرسالة الخامسة في ماهية الإيمان وخصال المؤمنين المحقين.

6- الرسالة السادسة في ماهية الناموس الإلهي والوضع الشرعي وشرائط النبوة.

7- الرسالة السابعة في كيفية الدعوة إلى الله بصفوة الأخوة.

8- الرسالة الثامنة في كيفية أفعال الروحانيين والجن والملائكة المقربين والشياطين.

---

[1]- مصطفى غالب: فلاسفة من الشرق والغرب، ص 39.

9- الرسالة التاسعة في كيفية أنواع السياسات وكيفيتها ومراتب المسوسين وصفات المديرين لها في العالم.

10- الرسالة العاشرة في كيفية نضد العالم بأسره وفي مراتب الموجودات ونظام الكائنات.

11- الرسالة الحادية عشر في ماهية السحر والعزائم.[1]

ويلي هذه الرسائل بمختلف أقسامها، الرسالةالجامعة عبارة عن ملخص للرسائل السابقة.

وقد ذكر إخوان الرسالة الجامعة في رسائلهم بأنها الرسالة التي ستجمع ما في الرسائل كلها، وأنها ستشمل حقائق هذه الرسائل بأسرها، وأنه لا بد لمن يريد أن يقف على حقائق الرسالة الجامعة أن يقرأ الرسائل كلها، [2] لأن الرسائل ما هي إلا مقدمات ومداخل للرسالة الجامعة، وأن هذه الرسالة (هي منتهى العرض وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد).

وأسلوب الرسائل من أولها إلى آخرها يجري على نسق واحد لا اختلاف فيه، فإذا راجعنا الرسائل على اختلاف موضوعاتها، مثلا نجد أسلوب البدء والختام واحد، فتبدأ الرسالة في الأكثر بـــ «**الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى الله خير ما يشركون**» ثم تبدأ بـــ «**اعلم أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه، لما فرغنا من الرسالة السابقة نريد أن نذكر في هذه الرسالة** ....» وتختم الرسالة في الأكثر أيضا بـــ «**وفقك الله وإيانا إلى طريق السداد وهداك وإيانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد**...».ونجد في كل رسالة تقريبا أسلوب الاستطراد بأن يتكلم عن موضوع ثم ينتقل بمناسبة إلى موضوع آخر، وبعد ذلك يرجع ويقول: «**فلنرجع إلى ما كنا**

---

[1]- أبو السعود أحمد الفخراني: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، ص 17.

[2]- محمد فريد حجاب: الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا، ص 83.

فيه».وفي ختام كل رسالة نجد «**تمت الرسالة وتتلوها الرسالة**».[1]ولرسائل إخوان الصفا قيمة ذات ثلاث شعب:

1- أنها صورة للحياة العقلية في القرن الهجري خصوصا من الجانب الفكري، وهي في الحقيقة مجموعة تضم الآراء الفلسفية منذ أيام طاليس الملطي.

2- أنها أول كتاب (مجلد) ضم بين دفتيه جميع أقسام الفلسفة.

3- أنها المحاولة الأولى لتثقيف العامة بفنون العلم والفلسفة.[2]

د. أهدافهم:

لقد بدا للجماعة أن تعدد الفرق وكثرة البدع واختلاف المفاهيم قد أدى إلى بلبلة الخواطر وإثارة الشكوك وضعف سلطان الدين على النفوس، وأن رجوع الثقة إلى النفوس مع إحياء الإيمان، إنما يكون عن طريق إيصال المزاعم بالدليل، وتأييد الحق والبرهان وبذلك عمدوا إلى العلوم العقلية يستعينون بها لتحقيق الهدف.

فالهدف الذي تأسست من أجله الجمعية في نظرهم أن الشريعة قد دنست بالجهلات، واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة والاعتقاد ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة فقد حصل الكمال[3] أي عملوا على التوفيق بين الدين والفلسفة وذلك حتى ينقوا الدين مما لحق به من شوائب في تلك الفترة فهم يهدفون لتطهير الشريعة بالفلسفة.

لقد اعتبر الإخوان أن الفلسفة فوق الشريعة وأن الفضائل الفلسفية فوق الفضائل الشرعية، وأن الخلود السعيد للفلاسفة، والسعادة عقلية، وهكذا يرمي الإخوان إلى

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا، فلسفتهم غايتهم، ص 103.

[2]- عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983م، ص 384.

[3]- يوسف فرحات: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ص67.

تطهير الشريعة بالفلسفة، أي غرض الشريعة على ميزان الفلسفة والوصول بذلك إلى انقلاب فكري يجاري آراء غلاة الشيعة.[1]

ومعنى هذا انه حتى ترجع الثقة في الدين إلى النفوس وإحيائه من جديد يقولون إخوان الصفا انه علينا أن نبطل تلك المزاعم بالبرهان والدليل وهذا بالاستعانة بالفلسفة فهم اتخذوا العلوم وسيلة لتهذيب النفس وترسيخ الإيمان.

ويذكرون في رسائلهم أن أخلاق الناس قد انحطت، وكثر بينهم الخداع والغدر وشاع الظلم والتعدي وأن سبيل الخلاص من شرور الدنيا، والفوز بسعادة الآخرة لا يكون إلا بالتعاون: «**واعلم يا أخي أنه ينبغي لك أن تتيقن بأنك لا تقدر على أن تنجو وحدك مما وقعت فيه ومن محنة هذه الدنيا، لأنك محتاج في نجاتك وتخلصك إلى معاونة إخوان لك نصحاء**»[2]، أما الهدف الذي ينشدونه بعد أن يتحقق التعاون التام فهو "بناء مدينة فاضلة" تزدهر فيها الحياة الروحية. أي أن إخوان الصفا كانوا يسعون إلى تحقيق التعاون فيما بينهم وان الهدف من هذا التعاون هو إقامة مدينة فاضلة.

وإننا إذا تتبعنا رسائل الإخوان وجدناهم يدعون إلى إقامة دولة جديدة، على أسس جديدة يدعون إلى تفهم خاص للدين على أساس الفلسفة، وإننا نذهب إلى أبعد من ذلك، ونقول أن غاية الإخوان سياسية بحتة، وما تشيعهم إلا مجرد ظاهر يخفون تحته آرائهم الحقيقية، وأغراضهم الخاصة، وذلك على خطة إسماعيلية، وفي تحفظ شديد وحذر كبير، وفي تقية غريبة.[3]

ويظهر لنا هدفهم السياسي في عدة مواطن من رسائلهم، فهم يقولون مثلا: «**وقد نرى أيها الأخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه، أنه قد تناهت دولة أهل الشر وظهرت قوتهم وكثرة أفعالهم في العالم في هذا الزمان، وليس بعد التناهي في الزيادة**

---

[1]- حنا الفاخوري، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، 228.

[2]- المرجع نفسه، 228.

[3]- المرجع نفسه، ص 229.

إلا الانحطاط والنقصان. واعلم بأن الدولة والملك ينتقلان في كل دهر وزمان ودور وقرن من أمة إلى أمة، ومن أهل بيت إلى أهل بيت، ومن بلد إلى بلد . واعلم يا أخي أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من قوم علماء حكماء وأخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا أن لا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعض ويكونون كرجل واحد في جميع أمورهم، كنفس واحدة في جميع تدابيرهم».[1].

وفي هذا القول نلاحظ دلالة واضحة على هدفهم السياسي، وعلى اعتقادهم بأن ساعتهم قد أتت ليدكوا العرش العباسي ويقوموا بانقلاب شامل.

ويقول الإخوان واصفين حال العصر وما آل إليه المجتمع من فساد: «**إن أكثر أهل زماننا الناظرين في علم النجوم شاكون في أمر الآخرة، متحيرون في أحكام أمر الدين، جاهلون بأسرار النبوات، منكرون البعث والحساب، فدللناهم على صحة أمور الدين من صياغتهم، واحتجاج ما عليهم من عملهم ليكونوا أقرب إلى فهمه وأوضح لتبيانهم**».[2]

وهكذا يتضح أن الإخوان يهدفون إلى سياسة جديدة عن طريق تفهم جديد للدين فدينهم فلسفي عقلي وهم يريدون أن يفسروا الدين بالفلسفة والعلوم الطبيعية، وهم يردون كل شيء إلى الطبيعة، وقد رمى الإخوان إلى تحقيق أهدافهم عن طريق التحفظ، وهم يغلفون حقيقة أمرهم وآرائهم وأهدافهم ويعمدون إلى الرموز ويبنون رسائلهم بناء علميا.

---

[1]- نقلا عن حنا الفاخوري، خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، ص229.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثالث

الوجود كأساس أنطولوجي للمعرفة عند إخوان الصفا

أولا: الوجود ومراتبه عند إخوان الصفا

ثانيا: المعرفة أنواعها وطرقها عند إخوان الصفا

ثالثا: تصنيف العلوم عند إخوان الصفا

أولا: الوجود ومراتبه عند إخوان الصفا

تعد نظرية الفيض أو الصدور التي أدلى بها الفيلسوف السكندري **أفلوطين** من أهم النظريات الفلسفية اليونانية التي لعبت دورًا كبيرًا في تأسيس الطرح الفلسفي الذي قدمه فلاسفة المسلمين في مباحث الفلسفة الثلاثة: الوجود ، والمعرفة ، والقيم، ومن هؤلاء الفلاسفة إخوان الصفا.

ومجمل هذه النظرية أن الله علة العالم وسبب وجوده، لكن الله فوق العالم لا يستطيع أن يتصل به ويخلقه، فكيف السبيل لحل هذا التناقض؟ هنا قال أفلوطين:«**إن تفكير الله في نفسه وكماله نشأ عنه فيض، وهذا الفيض صار هو العالم، وكما يبعث اللهيب ضوء، والثلج بردا، كذلك انبعث من الله شعاع كان هو العالم**»،[1]وهنا يكون الكون قد انبثق من الله انبثاقا طبيعيا بحكم الضرورة، ولكن ليس في هذه الضرورة أي معنى من معاني الاضطرار والإلزام، وليس يقتضي تغيرا في الله أي من خلال انبثاق الكون من الله لا يحدث أي تغيير في الله.

وأول شيء انبثق من (الواحد) هو العقل، وهذا العقل له وظيفتان التفكير في الله والتفكير في نفسه، ومن العقل انبثقت نفس العالم، ولها ميلان: فتميل علوا إلى (الواحد) وتميل سفلا إلى الطبيعة، وقد انبثقت منها النفوس البشرية التي تسكن هذا العالم، فنفس العالم، كالعقل تنتمي إلى العالم الروحاني الإلهي.

ومن النفس الأولى خرجت نفس ثانية سماها أفلوطين بالنفس الطبيعة، تشترك وحدها مع العالم المادي، كما تمتزج نفوسنا مع جسومنا، وهذه النفس الأخيرة التي هي عبارة عن النفوس الجزئية الموزعة على الكائنات هي أدنى مراتب العالم الروحاني يليه مباشرة المادة التي هي أبعد الكائنات عن الكمال،فهي مصدر التعدد، وسبب

[1]- نقلا عن، عمر الدسوقي: إخوان الصفا، دار إحياء الكتب العربية، دط، دت، ص 139.

الشرور لأنها عبارة عن العدم، والعدم أشد درجات النقص، والنقص هو الشر، وإذا فالمادة هي منشأ الشرور جميعا، وغاية الحياة التحرر من ربقة المادة.[1]

أعجب إخوان الصفا بهذه النظرية وقرروها في رسائلهم، ورأوا أن الوجود عبارة عن سلسلة مكونة من تسع حلقات تبتدأ بالباري الواحد الأحد، ثم العقل فالنفس فالهيولى الأولى، ثم الطبيعة يليها الجسم، ثم الفلك وبعده الأركان، وأما الأخيرة فهي المكونات فمراتب الوجود ابتداء من المصدر الأول هو الباري، وانتهاء إلى أكثر درجات الوجود انتشار في أفراده الجزئية.وهذا التسلسل هو كالآتي:

1/ المرتبة الأولى: وهي أربع (الباري، العقل الفعال، النفس، الهيولى لأولى).

أما **الباري فـــ«هو علة كل شيء وسبب كل وجود ومبدع المبدعات، ومخترع الكائنات ومتقنها ومتممها، ومكملها ومبلغها إلى أقصى مدى غاياتها، ومنتهى نهاياتها بحسب ما يأتي من كل واحد منها»**.[2]فهو ليس بشخص ولا صورة بل هوية وجدانية ذو قوة واحدة، وأفعال كثيرة وصنائع عجيبة. ولما كان الله تعالى تام الوجود كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها، قادرا على إيجادها متى شاء، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا يجود بها ولا يفيضها. فإذا بواجب الحكمة أفاض الوجود والفضائل كما يفيض عن الشمس النور والضياء.[3] أي أن الوجود فاض من الله كما يفيض من الشمس النور.

وبتأثير من فكرة العدد الفيثاغورية قدم إخوان الصفا بيانا لتدرج الموجودات وصدورها عن المبدأ الأول، فـــصدور الموجودات كلها يتلو بعضها بعضا في الحدوث والبقاء عن العلة الأولى، التي هي الباري عزّ وجل، كما يتلو العدد أزواجه وأفراده بعضها بعضا في الحدوث والنظام عن الواحد قبل الاثنين كذلك من فيض الباري وجود

---

[1]- عمر الدسوقي: إخوان الصفا، ص 140.

[2]- إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج3، دار صادر، بيروت، ص386.

[3]- المصدر نفسه، ص 196.

نشأة الخلائق وتمامها وكمالها، وكما أن الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد، كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عزّ وجل.[1]وهذا يعني أن أول شيء فاض عن وجود الباري هو العقل الأول (الفعال).

و**العقل الفعال**، عند إخوان الصفا له إطلاقتين أحدهما العقل كإحدى طرق المعرفة - وهو ما سنتطرق له فيما بعد- والثاني كمبدأ من مبادئ الوجود، وهو جوهر بسيط روحاني فيه جميع صور الموجودات غير متراكمة ولا متزاحمة، كما يكون في نفس الصانع صور المصنوعات قبل إخراجها ووضعها في الهيولى.[2]

ولشدة قرب العقل الفعال من الباري وشدة روحانيته، قبل العقل كل الفضائل دفعة واحدة، بلا زمان ولا حركة ولا نصب، أي أن العقل الفعال قبل الوجود والبقاء والتمام والكمال(الفضائل الأربعة) وهي غير متوفرة في النفس الكلية، والهيولى الأولى، بل يتوفر بعضها وبحد أدنى.[3]

و**النفس الكلية**، فقد فاضت عن العقل الفعال، وهي جوهرة بسيطة روحانية حية علامة فعالة، وهي صورة العقل الفعال[4] أي أنها قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام، كما يقبل التلميذ من الأستاذ التعليم.

أما **الهيولي الأولى**، فهي جوهر بسيط قابل للصورة، أي أنها قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئا بعد شيء، فأول صورة قبلتها الطول والعرض والعمق فكانت بذلك جسما مطلقا، وهو الهيولى الثانية.وإذا كانت النفس فاعلة من جهة، ومنفعلة من جهة أخرى، فإن الهيولى منفعلة فقط لأنها غير علامة ولا فعالة، والهيولى لكونها

---

(1)- حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دت، دط، ص 211.

(2)- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج3، ص 234.

(3)- المصدر نفسه، ص 185.

(4)- المصدر نفسه، ص 386.

ناقصة لبعدها عن الباري، وهي دون النفس لم تكن راغبة في فيضها فاحتاجت النفس إلى أن تقبل عليها بقوة إقبالا شديدا وتعني بإصلاحها عناية تامة.[1]

2/ المرتبة الثانية: تشمل (الطبيعة الكلية والجسم المطلق).

و**الطبيعة الكلية**، كما يعرفها الإخوان هي:«**قوة النفس الكلية السارية في جميع الأجسام المحركة المدبرة لها والمظهرة بها ومنها أفعالها وآثارها**».[2]أي أن الطبيعة هي عبارة عن قوة من قوى النفس الكلية المحركة والمدبرة لهذه الأجسام السارية فيها وهذه القوى نسميها الملائكة الروحانية.أما **الجسم المطلق**، فهو القابل للأبعاد الثلاثة: الطول العرض والعمق (وصورته المتممة هي الشكل الكروي)، وله العلل الأربع فعلته المادية هو الجوهر البسيط الذي يقبل الأبعاد الثلاثة، وعلته الفاعلة هو الباري وعلته الصورية العقل، وعلته الغائية هي النفس.[3]

والفيض عند الإخوان يشمل العالمين، عالم ما فوق فلك القمر أو العالم العلوي، وعالم ما دون فلك القمر أو العالم السفلي.فإذا كان الله قد خلق العالم العلوي، بواسطة العقل الفعال فهو كذلك أنشأ سائر الخلائق (أي العالم السفلي) من الهيولى ورتبها بواسطة العقل الفعال والنفس الكلية.

ويأخذ إخوان الصفا في نشأة العالم السفلي برأي الفارابي في الاختلاطات؛ فبعد أن ترتبت الأفلاك بعضها في جوف بعض، دارت بأبراجها وكواكبها على الأركان الأربعة وتعاقب عليها الليل والنهار والشتاء والصيف، واختلط بعضها في جوف

---

[1]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 185،186.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج3، ص 213.

[3]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج2، ص 238.

بعض، فتركبت بالترتيب على مدار السنين أنواع التراكيب المختلفة: المعادن والنبات والحيوان[1].والشكل أسفله توضيح لفيض الموجودات عند إخوان الصفا.

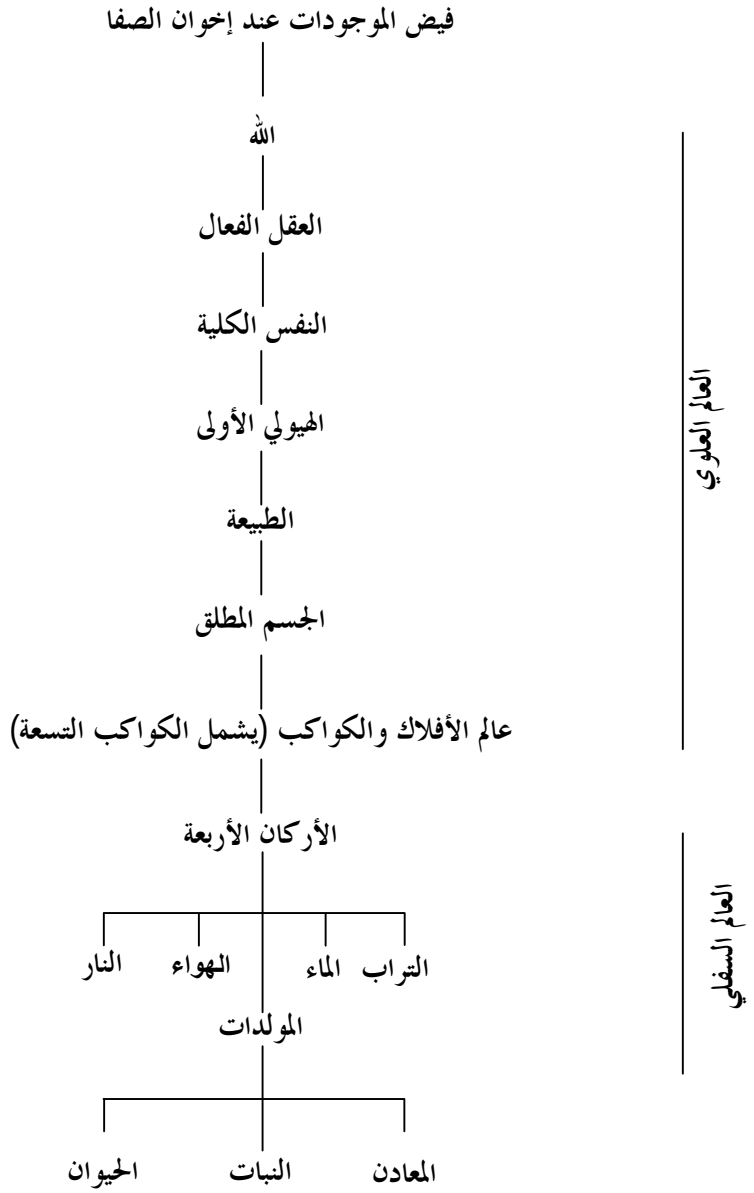

شكل فيض الموجودات عند إخوان الصفا

[1]- محمد عبد الرحيم الزيلي: مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993م، ص 224.

ومذهب الإخوان في الوجود هو مزيج من آراء أفلوطين وأرسطو؛ففيما يتعلق بمراتب الوجود الأولى، فإن مبادئ الموجودات عند أفلوطين تبدأ بثالوث مقدس الواحد العقل، النفس، وكذلك رأي الإخوان يقولون أن الموجودات ثلاث الباري، العقل، النفس. وأرسطو فسر وجود العالم بمعنى ما سوى الله على أساس الهيولى والصورة، فإن الإخوان أخذوا منه فكرته وفسروا بها وجود العالم المادي، [1] أي أن إخوان الصفا متأثرون في العالم العلوي أي في المرتبة الأولى (الله، العقل، النفس) بأفلوطين وفي العالم السفلي تأثروا بأرسطو.

وما تجدر الإشارة إليه أن نظرية الإخوان في الوجود والفيض تختلف إلى حد ما عن أراء بعض الفلاسفة المسلمين في المسألة نفسها، ومن ذلك:

- يتجاهل إخوان الصفا فكرة العقول العشرة ونفوس الكواكب، ويضعون العقل الفعال في المرتبة الثانية بعد الله أي في المرتبة الأولى للفيض، بينما العقل الفعال عند الفلاسفة يحتل المرتبة العاشرة من مراتب الفيض عندهم.

- سلسلة الموجودات عند الإخوان تختلف عما قاله فلاسفة الإسلام، وتحدد اتجاههم الصريح نحو أفلوطين، وإن كانوا يضيفون الكثير من الموجودات والتفسيرات والتحليلات، وهذا راجع إلى تأثرهم بالفيثاغورية في قولهم بانسجام الأعداد وتألفها مع ترتيب الموجودات.

- الفلاسفة لا يتكلمون عن (فعل الخلق الإلهي) بل عن الفيض والإبداع بينما الإخوان بمنهجهم التلفيقي لا يجدون حرجا في استخدام هذه الألفاظ كلها بل وإقحام الآيات القرآنية على وفرتها لتأييد بناء النظرية عندهم.[2]

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم غايتهم، ص 233-234.

[2]- محمد عبد الرحيم الزيلي: مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، ص ص 225-226.

ثانيا: المعرفة أنواعها وطرقها عند إخوان الصفا

تعد مسألة المعرفة -كما قلنا سابقا من أهم المسائل- التي يتميز بها التراث الفكري الإنساني والإسلامي بمختلف مجالاته ومذاهبه، لاسيما الفلاسفة، إذ ترتبط عندهم ارتباطا وثيقا بنظرياتهم المختلفة في تفسير الوجود أو الكون (الله، العالم الإنسان) فموقف الفيلسوف المعرفي لا ينفصل عن مذهبه العام في الوجود والطبيعة فيتأسس رأي كل فيلسوف في المعرفة على مذهبه في الوجود تأسيسا ذاتيا، ومثال ذلك إخوان الصفا الذين وضعوا نظريتهم في المعرفة القائمة على النظر في جميع علوم الموجودات، نتيجة اطلاعهم الواسع على التراث اليوناني وعلى الدين الإسلامي، ومن هنا سنتطرق إلى أنواع وطرق المعرفة عند إخوان الصفا.

أنواع وطرق المعرفة عند إخوان الصفا:

الإنسان في رأي إخوان الصفا ثنائية مكونة من نفس وجسد، وغايته أن يرتقي إلى عالم الأفلاك، والمعرفة طريقته لهذا الارتقاء.

والمعرفة عند إخوان الصفا نوعان؛ معرفة مكتسبة؛ ومعرفة غير مكتسبة (العيانية).

أما المعرفة المكتسبة، فقد فصل الإخوان في «الرسالة العاشرة من الجسمانيات الطبيعيات» طرق تحصيلها، أي علم الإنسان بالمعلومات، وجعلوها ثلاث، يقولون: «**اعلم أن علم الإنسان بالمعلومات يكون من ثلاث أحدهما طريق الحواس، والثاني طريق العقل، والطريق الثالث طريق البرهان**»، والمعرفة المحصلة بواسطة هذه الطرق هي،[1] وتفصيلها على النحو الآتي:

[1]- عمر فروخ: إخوان الصفاء درس عرض وتحليل، ص40.

أ. طريق الحواس:

هو أول طريق يجتمع فيه جميع الناس وتكون معرفته بها من أول الصبا، وتشاركهم فيها الحيوانات.[1]

أي أن هذا الطريق هو الأساس لاعتباره مبد ا كل المعلومات، حيث يشترك في الإنسان مع الحيوان وهو الوسيلة الوحيدة عند الطفل.

وكل معرفة حسية فيها حاس ومحسوس وحس وإحساس والقوى الحساسة.

- **الحاسة**: هي العضو المنوط به نوع خاص من الإدراك.
- **المحسوسات**: هي الأشياء المدركة بالحس والمدركة بالحواس، هي أعراض حالة في الأجسام الطبيعية، مؤثرة في الحواس، متغيرة لكيفية مزاجها.
- **الحس**: هو تغير مزاج الحواس عن مباشرة المحسوس لها.
- **الإحساس**: هو شعور القوى الحساسة لتغيرات كيفية أمزجة الحواس.
- **القوى الحساسة**: هي قوى روحانية، نفسانية، يختص كل منها بعضو من أعضاء الجسد.[2]

وإخوان الصفاء يتفقون مع الرواقيين القائلين بوجود الوسط بين الحاس والمحسوس ففي حالة السمع تصور الأذن نفسا سمعيا ينتشر في موجات دائرية حول الرأس مشابهة للموجات التي يبعثها حجر يلقى في الماء ويختلفون مع أفلوطين الذي ينفي وجود الوسط المادي بين أداة الحس والشيء المحس، فهو ينكر أن يكون الهواء واسطة الأبصار.[3]

كما أنهم هم يقرون بأن كل حاسة من الحواس لها مدركات بالذات ومدركات بالعرض، وهي لا تخطئ في المدركات بالعرض، مثال ذلك البصر فإن المبصرات له

---

[1]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج2، ص 396.

[2]- المصدر نفسه، ص401.

[3]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم غايتهم، ص 196

بالذات هي الأنوار والضياء والظلام، وأما الألوان فتدركها العين بتوسط النور والضياء وأما سائر الأجسام وسطوحها وأشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركتها فهي بتوسط الألوان وكلما كثرت الوسائط بينه وبين النظر كان الخطأ فيه أكثر.[1]

وقد رفع إخوان الصفا من شأن المعرفة الحسية واختلفوا بذلك مع أفلاطون الذي كان يصفها بالمعرفة الظنية، واتفقو الإخوان مع أرسطو، فهو يشيد بالمعرفة الحسية ويرى أنها لا يمكن أن تكون مخطئة في ذاتها، لأنها تصور صرف، والتصورات لا يحكم عليها بالصدق أو بالكذب، وإنما الربط بينها هو الذي يجعلها قابلة لأن يحكم عليها بالصدق أو بالكذب، ويتم هذا الربط عن الخيال أو عن طريق الحكم، ومن هنا ينشأ خطأ الحواس بأن يربط بين مدلولات حسية مختلفة ليس بينها بارتباط في الواقع [2] فمثلا اللون محسوس البصر، والصوت محسوس السمع، فإن أخطأ الحس فلا يخطئ في موضوعه أي في اللون أو الصوت، بل في ماهية الشيء الملون أو الصائت وفي مكانه.

ب. طريق العقل

العقل اسم مشترك يقال على معنيين، أحدهما ما يذكره بعض الفلاسفة أنه أول موجود اخترعه الباري وهو يوصف بالفعال، والثاني ما نحن بصدده ينقسم إلى قسمين: غريزي ومكتسب.

و**العقل الغريزي** عند إخوان الصفا العقل قوة من قوى النفس الإنسانية التي فعلها التفكير والروية والنطق والتمييز والصنائع وما شاكلها، ولعل التميز أهم وظيفة تزايل الإنسان عن الحيوان، إذ قالوا: «**التمييز الذي يخص كل واحد من أشخاص الإنسان دون سائر الحيوانات**» [3]أي أن التمييز يخص الإنسان دون الحيوان.

---

[1]- إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، مج3، ص 106.

[2]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم غايتهم، ص 197.

[3]- إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، مج3، ص 386.

ولما كان العقل يأخذ معلوماته من الحس فإن«**ما لا تدركه الحواس بوجه من الوجوه لا تتخيله الأوهام، وما لا تتخيله الأوهام لا تتصوره العقول**»[1]ذلك أن العقل والحس عند إخوان الصفا شرطان رئيسيان لكي تتم عملية المعرفة، فكل قوة من هاتين القوتين تكمل الأخرى، الحس يؤدي المحسوسات إلى العقل، والعقل هو الذي يقوم بعملية التمييز والربط والحكم.

وإذا كان العقل الغريزي يفكر ويتأمل ويربط ويفصل بين المحسوسات فهو كالميزان والأمور التي يتناولها بالوزن هي المحسوسات، لكن كيفية الوزن أو تلك القواعد والقوانين التي بموجبها تتم عملية الوزن، فإنها تأتي من المعلومات البرهانية التي تسمى بـــ: **العقل المكتسب**.

ج. طريق البرهان

البرهان (العقل المكتسب) ويسمى ميزان العقل، هو طلب الحقائق وإصابة الصواب، وتجنب الزور والخطأ باستعمال القياسات فـــ«**البرهان ميزان العقل كما أن الكيل والوزن والذرع ميزان الحواس**».[2]و البرهان نوعان: هندسي، منطقي. وهذا الطريق ليس متاحا لعامة الناس، إذ يختص به العلماء.

والحاصل، أن إخوان الصفا يتبنون موقفا صريحا وواضحا في طبيعة المعرفة، فهي من طبيعة حسية، وهم بهذا يخالفون أفلاطون في قوله بأن النفس تعرف بالتذكر ويعتقدون أن الإنسان إذا ولد كان لا يعرف شيئا وتأثر إخوان الصفا في ذلك بالقرآن الكريم ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة النحل الآية 78.

---

[1]-إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، مج3، ص 424.

[2]- المصدر نفسه، ص 90.

وحتَّى المعلومات الأولية عند إخوان الصفا مأخوذة من الحواس«**والدليل على ذلك: الصبي لولا أنه قدر أن عشرة جوزات أكثر من خمسة، أو خشبة طولها عشرة أذرع أطول من أخرى لها ستة أذرع. فمن أين كان يمكنه أن يعلم الكل أكثر من الجزء؟ وعلى هذا القياس حكم سائر المعقولات فإنها مأخوذة أوائلها من الحواس**».[1]فما يطلق عليه أوائل العقول(المعرفة الفطرية) فهي إذاً مكتسبة بطريق الحس.

ويتبين لنا من خلال ما تقدم أن إخوان الصفا أنكروا المعلومات الأولية الفطرية وذهبوا إلى أنها كلها مأخوذة من الحواس.

لكن إخوان الصفا لم يتوقفوا عند هذا الحد كما وقف الكثير من الفلاسفة بل انتقلوا من مستوى المعرفة الحسية/ العقلية إلى مستوى المعرفة العيانية، أو المعرفة غير المكتسبة.

لقد سبق وذكرنا أن هناك نوعان من المعرفة مكتسبة، ومعرفة غير مكتسبة وهي معرفة ذات صلة مباشرة بالنفس، وهي لا تأتي عن طريق أداة أو عضو من أعضاء الجسد، وهي آخر مرحلة من مراحل المعرفة الإنسانية وأعلاها، وقد عبر عنها إخوان الصفا بطريق الوحي والإلهام.و تعد المعرفة العيانية وحيا كانت أو إلهاما ضرورية للإنسان، فالأمور الإلهية لا تدركها الحواس، ولا تتصورها الأوهام، لكن الدليل والبراهين الصادقة باعثة للعقول إلى الإقرار والقبول بها.[2]

وليس هذا الفن باكتساب من الإنسان ولا باختيار منه بل هو موهبة من الله، يهبها لمن يشاء من عباده او اولياءه. والولي عند إخوان الصفا مؤيد بملك من الملائكة يلهمه بإذن الله جل ثناؤه، ثم صار ذلك الرجل قدوة في الدين لأهل زمانه، يقولون: «**ثم اعلم**

---

[1]-إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، مج3، ص 425.

[2]- المصدر نفسه، ص 402.

أن رؤية أولياء الله جل اسمه، ليست كرؤية الأشخاص والأشباح والصور والأجناس، والأنواع والجواهر والأعراض والصفات والموصوفات في الأماكن والمحاذيات، ولكن بنوع أشرف منها وأعلى وفوق كل وصف جسماني، ونعت جرماني، وهي رؤية نور بنور في نور، كما قال الله تعالى﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي لا صورية ولا هيولانية».[1]

وقد نقل الإخوان عن أحد الأولياء إذ قال: «**أجد قلبي كالمرآة تتراءى فيه حقائق الأشياء، وأجد لساني يجري على الصواب، من غير تكلف مني، وأجد نفسي كالترجمان تسمع من وراء الحجاب، وتعبر وتؤدي إلى أبناء جنسي مما تسمع بلا تصنع مني**».[2]

ومن هنا فإن المعرفة العيانية أي الاشراقية والتي هي إسلامية الجذور والأصول أعلى طرق المعرفة في رأي إخوان الصفا.

ثالثا: إحصاء العلوم عند إخوان الصفا

عند إخوان الصفا لا يمكن فصل حديث المعرفة عن العلم، ويعرف إخوان الصفا العلم بأنه:«**صورة المعلوم في نفس العالم أو ضرب من الوجود وأسمى وألطف وأدنى إلى الوجود المعقول من الأشياء المادية المتحققة في الخارج**».[3]

في إطار اهتمام إخوان الصفا بالعلوم والمعارف السائدة في عصرهم، قاموا بإحصاء هذه العلوم وضمنوها رسائلهم، التي سبق وأن توقفنا عندها.

قسم إخوان الصفا تلك العلوم إلى ثلاثة أقسام:

---

[1]-إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، مج3، ص 282.

[2]- إخوان الصفاء: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، مج4، ص 97.

[3]- ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ترجمة أبو ريدة محمد عبد الوهاب، دار النهضة العربية، بيروت دط، دت، ص138.

القسم الأول:

وهو(علم الآداب التي وضع أكثرها لطلب المعاش، وصلاح أمر حياة الدنيا) ويسمونها العلوم الرياضية، وهذا القسم يتفرع إلى تسعة أنواع:

1- علم الكتابة والقراءة.

2- علم اللغة والنحو.

3- علم الحساب والمعاملات.

4- علم الشعر والعروض.

5- علم الزجر والفأل وما يشاكله.

6- علم السحر والعزائم والكيمياء وما شاكلها.

7- علم الحرف والصنائع.

8- علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل.

9- علم السير والأخبار.[1]

فالعلوم الرياضية تضم مجموعة من العلوم، وكل نوع يشتمل أكثر من علم وهذه كلها كان الغرض صلاح الحياة الدنيا عن طريق المجاهدة والعمل.

القسم الثاني:

يتعلق هذا القسم بالعلوم الشرعية، وهي ذات صبغة عملية، يطلق عليها لفظ وضعية بالمعنى الديني، لأنها العلوم التي وضعها المشرع،[2] أي أنها علوم تطبيقية ذات اتجاه ديني، وهي العلوم التي تكون من وضع المشرع، وهذه العلوم وضعت لطلب النفوس وطلب الآخرة، [3] أي غرض العلوم هو تطهير النفوس والابتعاد عن ما

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم غايتهم، ص 175.

[2]- محمد عبد الحليم عطية: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1988م، ص 87.

[3]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم غايتهم، ص 176.

يفسدها ويزيغها عن طريق الله، ورغبة في الآخرة وجنتها، والعلوم الشرعية هي ستة أنواع:

1- **علم التنزيل**: وأصحابه هم الأنبياء والمرسلين الذين تلقوه من الملائكة المقربين بنفوسهم الزكية وعقولهم المضيئة، وهم أصحاب الأحكام والأوامر والنواهي والعزم والقطع، ولكل واحد منهم كتاب وهو مخصوص به، وأمته التي بعث فيها وأرسل إليهم فهذا العلم من اختصاص الأنبياء والرسل، الذين جاؤوا بالوحي من عند الله عن طريق الملائكة.

2- **علم التأويل**: وأصحابه هم خلفاء الأنبياء، وعلماء الروايات، وأصحاب الحديث وعلماء الأحكام والسنن، فهم الفقهاء وعلماء التذكار، فهم العباد والزهاد والمتصوفة[1].

3- **علم الروايات والأخبار**: وهم أصحاب الحديث.

4- **علم الفقه والسنن والأحكام**.

5- **علم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف**: وهم العباد والرهبان وما شاكلهم.

6- **علم تأويل المنامات**: وهم المعبرون.[2]

القسم الثالث: العلوم الفلسفية: وهي أربعة أنواع

1- الرياضيات.

2- المنطقيات.

3- الطبيعيات.

4- الإلهيات.

وتنقسم العلوم الفلسفية لدى إخوان الصفاء إلى أربع:

---

[1]- إخوان الصفا: الرسالة الجامعة، ترجمة: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1981، ص ص 111-112.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج1، مطبعة نخبة الأخبار، بومباي، دط، 1305هـ، ص 19.

أ/الرياضيات:

وهي عندهم من أجل العلوم وأشرفها، وإذ بها يفسر الوجود والكون ما هو إلا أعداد وألحان حسب الرؤية الفيثاغورية لهذا العالم،فالرياضيات عند إخوان الصفا من العلوم المقدسة وأدخلوها في مختلف أبحاثهم، وهي عندهم على أربع أنواع:

1- الأرثماطيقي: (وهو معرفة ماهية العدد، وكمية أنواعه وخواص تلك الأنواع وكيفية نشوئها من الواحد الذي قبل الاثنين، وما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض)، وهو المسمى بعلم العدد أو علم الحساب، [1] والنظر في هذا العلم مقدم على النظر في سائر العلوم الرياضية.

2- الجومطريا (الهندسة): وهي أصل المقادير الثلاثة وكمية أنواعها، وخواص تلك الأنواع وكيفية نشوئها من النقطة التي هي رأس الخط.

وأنها في صناعة الهندسة مثل الواحد في صناعة العد،[2] أي أن الهندسة تنظر في الأبعاد والأشكال وأنواعها، ومميزات كل نوع من الأنواع ، وكما جعلوا النقطة هي مبدأ كل الأشكال الهندسية، مثل الواحد الذي هو أصل كل الأعداد.

والهندسة نوعان: عقلية وحسية، فالحسية هي معرفة المقادير وما يعرف فيها من المعاني، إذا أضيف بعضها إلى بعض، وهي ما يرى بالبصر ويدرك باللمس، والعقلي بضد ذلك وهو ما يعرف ويفهم، فالذي يرى بالبصر هو الخط، والسطح والجسم ذو الأبعاد،[3] إن الهندسة الحسية موضعها الخطوط والسطوح، أما الهندسة العقلية فموضعها أبعاد الأشياء من طول وعرض وعمق، فالحسية تهتم بالشكل كما يصل إليها عن طريق الحواس، أما العقلية فتقوم بدراسة ذلك الشكل من ناحية تكوينه.

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص 179.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج1، ص 44.

[3]- المصدر نفسه، ص 24.

وأقر الإخوان أن الأبعاد العقلية هي صفات للمقادير الحسية، وذلك أن الخط هو أحد المقادير وله صفة واحدة وهي الطول، أم السطح فهو مقدار ثاني، وله صفتان وهما الطول والعرض، وأما الجسم فهو مقدار ثالث، وله ثلاث صفات وهي الطول والعرض والعمق،أي الأبعاد التي يضعها العقل هي صفات تلك الأجسام التي يشاهدها الحس، فصورة الخط تحيل العقل إلى إعطائه صفة الطول، أم السطح فيعطيه صفتين هما الطول والعرض، أما الجسم فيتخذ شكله ثلاث صفات وهي الطول والعرض والعمق.

إن النظر في الهندسة الحسية يؤدي إلى الحذق في الصنائع العملية كلها، والنظر في الهندسة العقلية يؤدي إلى الحذق في الصنائع العلمية، لأن هذا العلم أحد الأبواب التي تؤدي إلى معرفة جوهر النفس التي هي جذر العلوم وعنصر الحكمة، وأصل الصنائع العلمية، إن الهندسة الحسية تعرفنا على الصنائع العملية.

3- الأسطرنوميا: (وهي النجوم وهي معرفة كمية الأفلاك والكواكب والبروج، وكمية أبعادها ومقادير أجرامها، وكيفية تركيبها وسرعة حركاتها، وكيفية دورانها وماهية طبائعها، وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها)، وعلم النجوم عند الإخوان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم منها هو معرفة تركيب الأفلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وأبعادها وعظمتها وحركتها، وما يتبعها من هذا الفن ويسمى هذا القسم علم الهيئة، أي أن القسم الأول هو علم الهيئة وينظر في الأفلاك وتركيبها وسرعة حركتها ومقاديرها وما تتكون منه من بروج وغيرها.

ومنها قسم هو معرفة حل الزيجات، وعمل التقاويم، واستخراج التواريخ وما شاكل ذلك ومنها قسم معرفة كيفية الاستدلال لدوران الفلك وطوالع البروج، وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر، ويسمى هذا النوع علم الأحكام [1]

[1]- إخوان الصفا: رسائل، إخوان الصفاء وخلان الوفاء مج1، ص 44، 56.

أي هو معرفة الأفلاك والكواكب والبروج وكمية الأبعاد ومقادير أجرامها، وكيفية تركيبها وسرعة حركاتها وكيفية دورانها، وماهية طبائعها وكيفية دلائلها على الكائنات قبل كونها.

وأقر إخوان الصفا بأن في معرفتهم لعلم النجوم فوئد كثيرة، ومنها أنه كلما تقدم الإنسان، فعلم ما سيكون من حادث في المستقبل أو كائن بعد أيام أمكنه حينئذ أن يدفع عن نفسه بعضها أو كلها بأن يتحرر منها ويستعد لها، أي أن النجوم تنبئ الإنسان بالمستقبل وتخبره بما سيصيبه وهذا يجعله يتخذ الحيطة والحذر.

4- الموسيقى: (الذي هو علم التأليف، وهو معرفة ماهية النسب وكيفية تأليف الأشياء المختلفة الجواهر، المتباينة الصور المتضادة القوى، المتنافرة الطبائع، كيف تجمع ويؤلف بينها، كما لا تتنافر وتأتلف، وتتحد وتصير شيئا واحد)[1] ويرى إخوان الصفا بأن كل صناعة تعمل باليدين فهيولاها تكون أجساما طبيعية ومصنوعاتها كلها أشكال جسمانية، إلا صناعة الموسيقى فإن الهيولي الموضوعة فيها كلها جواهر روحانية، وهي نفوس المستمعين وتأثيراتها فيها كلها روحانية، وذلك إن الألحان والأصوات والنغمات لها في النفوس تأثيرات تحرك النفوس، إن الموسيقى على عكس الصناعات الأخرى فهي روحانية لأنها مكونة من جواهر روحانية.

والموسيقى هي علم الأنغام والإيقاع والأوزان وعلم الأصوات المنتظمة، وهي عندهم تتبدل مثل ما تتبدل أحوال الإنسان، فمنها المفرح المطرب، ومنها المحزن المبكي إلى درجة تصبح فيها هي لغة النفس البشرية، وإخوان الصفا لم يقفوا عند حدودها الفنية وقيمتها النفسية، بل أفاضوا في الحديث عن قوانينها وحركتها وعلاقتها بالأشعار، وعلم العروض والضرب، وأكثروا في وصف أدواتها شكلا واستعمالا.[2]

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص 180.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج1، ص 107.

ب/ المنطق:

المنطق عند إخوان الصفا وثيق الصلة بالرياضيات، فكما أن الرياضيات تساعد على التهدي من المحسوسات إلى المعقولات، فالمنطق في مكان وسط بين العلم الطبيعي وعلم الإلهيات، ذلك أن العلم الطبيعي يبحث في الأجسام وعلم الإلهيات يبحث في الصور المفارقة، أما المنطق فهو يبحث المعاني العقلية لهذه، كما يبحث عن تصور النفس لتلك، [1] يتوسط المنطق العلم الطبيعي والعلم الإلهي، فالمنطق يبحث في المعاني العقلية للصور المفارقة، كما يبحث في تصور النفس للأجسام.

ومنطق إخوان الصفا يبنى على مقدمات فورفوريوس، وعلى المقولات وكتاب العبارة وأنالوطيقا لأرسطو، وليس فيه إلا قليل من الابتكار، فقد أضاف إخوان الصفا إلى الألفاظ الخمسة التي عند فورفوريوس لفظا سادسا هو الشخص، ومن هذه الألفاظ الستة عندهم ثلاثة تدل على الأعيان وهي الجنس، النوع، الشخص، وثلاثة تدل على المعاني وهي: الفصل الخاصة والعرض.

إن منطق إخوان الصفا مأخوذ كله من منطق فورفوريوس وأرسطو وإن كله مجرد محاكاة لمنطق كل فورفوريوس وأرسطو، ولم يقدم إخوان الصفا أية إضافات إلا لفظة الشخص التي أضافوها للألفاظ الخمسة، فأصبحت ستة، والمقولات العشر أسماء أجناس، أولها الجوهر والتسعة الأخرى أعراض له، ثم يكمل إخوان الصفا نظام المفهومات والمعاني الكلية عندهم، واستعمال التقسيم إلى أنواع:[2]والمنطقيات هي تسعة عند إخوان الصفا:

1- بيوطيقا: وهي معرفة صناعة الشعر.

2- ريطوريقا: وهي معرفة صناعة الخطب.

---

[1]- دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص 179.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج1، ص 107، 111.

3- طوبيقا وهي معرفة صناعة الجدل.

4- أنالوطيقا: وهي معرفة صناعة البرهان، وهي تخص بانالوطيقا الثانية.

5- سوفسطيقا: (وهي معرفة صناعة المغالطين في المناظرة والجدل).

6- قاطيعورياس: وهو معرفة معاني العشرة ألفاظ التي كل واحد منها يقال لها جنس الأجناس، وهي تعرف بـــ المقولات وأن كل واحد منها (جوهر) والتسعة الباقية (أعراض).

7- باري أرمينياس: وهي معرفة تلك العشرة ألفاظ التي هي (قاطيغورياس وتدل عليه من المعاني عند التركيب، حتى تصير كلمات وقضايا، ويكون منها الصدق والكذب وهي العبارة).

8- أنالوطيقا الأولى: (وهي معرفة كيفية تركيب تلك الألفاظ مرة أخرى حتى يكون منها مقدمات، وكمية أنواعها وكيف تستعمل حتى يكون منها شيء محسوس، واقتران القضايا ونتائجها وهي القياس).

9- إيساغوجي: (وهو المدخل إلى صناعة المنطق الفلسفي والغرض منه معرفة معاني ستة ألفاظ التي يستعملها الفلاسفة في أقاويلهم وهي الشخص، النوع، الجنس، الفصل الخاصة، والعرض العام).[1]

ج/ العلوم الطبيعية: وهي سبعة أنواع:

1- **علم المبادئ الجسمانية**: وهي معرفة خمسة أشياء: الهيولي، الصورة، الزمان المكان، الحركة، وما يعرض فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض، ويعرف عندهم أيضا بسمع الكيان وهو السماع الطبيعي، فالهيولي هي كل جوهر قابل للصورة أما الصورة وهي كل شكل أو نقش يقبله الجوهر، وقد رأى إخوان الصفا أن اختلاف الموجودات من اختلاف الصور وليس الهيولي، حيث أنه هناك أشياء عديدة لها جوهر

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص 180.

واحد لكن صورها مختلفة،[1] **أي** أن الهيولي تشكل لنا الصورة التي نحن نريدها عليها أما الصورة فهي الشكل الذي أخذته تلك الهيولي، كما أن اختلاف الموجودات ناتج عن اختلاف صورها وليس هيولاتها، وقد قال إخوان الصفا في ذلك: «**إن الذين ذكرو الهيولي والصورة عنوا أن العقل صورة النفس وتمامية له، وأنها هيولي له لقبولها أثاره وإشراقها بنوره، فهو مودعها صورة التمام ومبلغها صورة الكمال**»،[2]إن النفس هي الهيولي أما العقل فهو الصورة، ذلك لأن العقل هو تجسيد لما في النفس من آثار.

2- **علم السماء والعالم**: وهو معرفة جواهر الأفلاك والكواكب وكميتها وكيفية تركيبها وعلة دورانها، وهل تقبل الكون والفساد أولا.

3- **علم الكون والفساد**: هو معرفة ماهية جواهر الأركان الأربعة وهي النار والهواء والماء والأرض، وكيف يستحيل بعضها إلى بعض بتأثيرات الأشخاص العالية.

4- **علم حوادث الجو**: هو معرفة كيفية تغيرات الهواء بتأثيرات الكواكب بحركتها ومطارح شعاعاتها على هذه الأركان وانفعالاتها منها.

5- **علم المعادن**: وهي معرفة الحوادث والكائنات التي تتكون وتفسد تحت فلك القمر بطول الأزمان والدهور والأدوار، **أي** معرفة الجواهر المعدنية التي تنعقد من البخارات المختلفة في باطن الأرض والعصارات المنعقدة في إلا هوية والكهوف والجبال وقعور البحار.

وقد أقر إخوان الصفا بأن الجواهر المعدنية مختلفة في طباعها وألوانها وطعومها وروائحها، وكل ذلك بحسب اختلاف ترب بقاع معادنها ومياهها وتغيرات أهويتها،[3]أي أن هذه المعادن تكتسب الخصائص التي توجد في التربة والمياه والأهوية التي نشأت فيها، ولذلك تكون مختلفة فيما بينها باختلاف هذه العوامل.

---

[1]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج2، ص 6.

[2]- إخوان الصفا: جامعة الجامعة، ترجمة: عارف ثامر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت، ص 67.

[3]- إخوان الصفا: الرسائل، ج2، ص 87.

6- **علم النبات**:هو معرفة كل نبات يغرس أو يبذر أو ينبت، [1] أي معرفة أجناس النبات وكيفية تكوينها ونشوئها وأسباب اختلاف أنواعها والأشكال والألوان والطعوم والروائح وأوراقها وأزهارها وحبوبها وبذورها ونموها، وبذلك معرفة كل نبتة وخصائصها ومميزاتها.

7- **علم الحيوان**: وهو معرفة كيفية تكوين الحيوانات وبدء كونها ونشوها ونمائها وكمية أجناسها وفنون أنواعها وخواص طباعها واختلاف أخلاقها، [2] **أي** معرفة كل جسم يتغذى وينمو ويحس ويتحرك مما يمشي على وجه الأرض أو يطير في الهواء أو يسبح في الماء **أو** يدب في التراب أو يتحرك في جوف جسم آخر كالديدان.

د/ العلوم الإلهية: وتنقسم إلى خمسة أنواع هي:

1- **معرفة الباري**: جل جلاله وعم نواله، وصفة وحدانيته، وأنه علة الموجودات خالق المخلوقات وفائض الوجود، ومعطي الوجود ومعدن الفضائل والخيرات وحافظ النظام فهو علتها ومتقنها ومبدعها ومتممها ومكملها، كما أن الواحد من العدد هو علة العدد وأولها ومبدؤها،[3] أي معرفة أن الله هو الواحد وهو خالق كل شيء وأصله ومبدؤه وهو الذي أوجد الوجود وأحسن تنظيمه، فهو أصل كل شيء.

2- **علم الروحانيات**: وهو معرفة الجواهر البسيطة العقلية العلامة الفعالة وهي الصور المجردة من الهيولى.

3- **علم النفسانيات**: وهي معرفة النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية، من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض.

4- علم السياسة: وهي خمسة أنواع:

---

[1]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص 182.

[2]- إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج2، ص 189.

[3]- إخوان الصفا: رسائل إخوان وخلان الوفاء، مج4، ص 124.

- **السياسة النبوية**: هي معرفة كيفية وضع النواميس المرضية، والسنن الزكية بالأقاويل الفصيحة، ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة والآراء السخيفة والعادات الرديئة والأفعال الجائرة، ومعرفة كيفية نقلها من تلك الأديان والعادات،أي معرفة ما جاء به الأنبياء والرسل من نواميس حتى تخرج الناس من الضلالة والغفلة وتبعد الديانات الفاسدة وتمحو الآراء الزائفة.

- **السياسة الملوكية**: وهي معرفة حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بإقامة الحدود وإنفاذ الأحكام الشرعية والمحافظة على الأمن والاستقرار، وهذه السياسة يختص بها خلفاء الأنبياء والأئمة المهديون.

- **السياسة العامية**: مثل رياسة الملوك والجبابرة، الذين ليس لهم سلطان إلا على الأجسام والأجساد بالقهر والغلبة والجور والظلم، ويستعبدون الناس ويستخدمونهم قهرا في إصلاح أمور الدنيا وشهواتها[1]،أي حكم القادة ورؤساء الدول وما يكلفون به الناس من أعمال شاقة واستعباد وظلم، وتنفيذا لأوامرهم ورغباتهم.

- **السياسة الخاصة**: وهي معرفة كل إنسان كيفية تدبر منزله وأمر معيشته ومراعاة أمر خدمه وأولاده وأقربائه، وعشرته مع جيرانه وصحبته مع إخوانه والنظر في مصالحهم، وهذا النوع من السياسة يحدد الجانب الاجتماعي في حياة الفرد،[(2)] أي الموضوع هذا العلم هو علاقة الإنسان مع من حوله، وأقربائه وحسن معاملتهم والأخلاق التي يجب أن يتحلى بها معهم.

- **السياسة الذاتية**: هي معرفة كل إنسان أخلاقه، وتفقد أفعاله وأقاويله في حال شهواته وغضبه ورضاه، والنظر في جميع أموره، وهذا النوع من السياسة يحدد الجانب النفسي في حياة الفرد ومراقبته سلوكه الشخصي.

---

[1] إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، مج4، ص128

[(2)]- فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، ص 182، 183.

5- **علم المعاد**: هو معرفة ماهية النشأة الأخرى وكيفية انبعاث الأرواح من ظلمة الأجساد وانتباه النفوس من طول الرقاد، وحشرها يوم المعاد وقيامها على الصراط المستقيم وحشرها لحساب يوم الدين، ومعرفة كيفية جزاء المحسنين وعقاب المسيئين،[1] أي معرفة يوم الآخرة وما سيكون فيه من بعث وحشر وحساب وعقاب وما سوف يكون جزاء كل نفس يومها.

هذه هي أقسام الفلسفة وفروعها عند إخوان الصفا.

[1]- إخوان الصفاء: جامعة الجامعة، ص 102-103.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال معالجتي لإشكالية البحث وتحليل مختلف العناصر المتناولة لدينا، تبلورت لدينا بعض النتائج أهمها:

أن إخوان الصفا يقولون بإمكان المعرفة عكس منكري المعرفة، وأن المعرفة عند إخوان الصفا نوعان:

المعرفة الأولى: هي **معرفة كسبية**، وهي تمر بمراحل ثلاث الحسية والعقلية والبرهانية، بحيث كل مرحلة إذا أحكمت تؤدي إلى التي تليها .

والنوع الثاني: هي **المعرفة غير الكسبية** تلقاها النفس دون اكتساب وتعلم، حيث أن الإنسان إذا أكمل المعرفة الطبيعية على خير، وجه نفسه نحو المعرفة الأخرى أي الغير كسبية وهي منحة من الله تعالى، وهي المعرفة اللدنية أو العيانية أي من لدن الله سبحانه وتعالى.

وبذلك كانت طرق المعرفة عند إخوان الصفا أربع الحسية والعقلية والبرهانية والعيانية أو اللدنية.

بحيث أن المعرفة الحسية هي أول الطرق ويشترك فيها جميع الناس، وتكون معرفته بها من أول الصبا تشاركهم فيها الحيوانات، وهذا الطريق هو الأساس لاعتباره مبدأ كل المعلومات وهو الوسيلة الوحيدة عند الطفل بحيث أن إخوان الصفا يعتبرون أن الإنسان إذا ولد كان لا يعرف شيئا، وهم هنا عكس أفلاطون الذي قال بأن النفس تذكر، بحيث أن أفلاطون يعتقد أن النفس حينما تكون في الملأ الأعلى تكون مطلعة على الصور المثلى جميعها، فإذا هبطت واتصلت بالجسد نسيت ما كانت قد عرفته. لكن كلما وقع نظر الإنسان على الشيء تذكرت نفسه أنها كانت قد رأت مثل صورة هذا الشيء في الملأ الأعلى فتعرفه، فنظرية المعرفة عند أفلاطون إذن مبنية على التذكر، أي عرفان صلة الأجسام التي نراها في عالمنا هذا بالصورة المثلى التي كانت قد رأتها

النفس في الملأ الأعلى. ولكن إخوان الصفا خالفوا أفلاطون واعتبروا أن الإنسان إذا ولد كان لا يعرف شيئا.

واعتبروا كذالك أن جميع المعارف حتى تلك التي يظن نفر من الفلاسفة أنها معروفة بأوائل العقول، ترجع في حقيقتها إلى إدراك الحواس لها.

أما طريق العقل الذي ينفصل به الإنسان دون سائر الحيوان، ومعرفته به تكون منذ الصبا عند البلوغ وفيه تعرف النفوس ذاتها وجوهرها أو إدراكها إدراكا مباشر للعلوم الربانية، والعقل هو اسم مشترك يقال على معنيين كما مر سابقا وشرحنا، احدهما ما يذكره بعض الفلاسفة إلى أنه أول موجود اخترعه الباري عزّ وجل وهو يوصف بالفعال، والثاني وهو ما نحن بصدده وينقسم إلى قسمين غريزي ومكتسب .

العقل الغريزي وهو قوة من قوى النفس الإنسانية التي فعلها التفكير والروية والتميز وما شاكلها.

والعقل عند إخوان الصفا يأخذ معلوماته من الحس، بحيث يعتبر إخوان الصفا أن العقل والحس شرطان رئيسيان لكي تتم عملية المعرفة، فكل قوة من هاتين القوتين تكمل الأخرى فالحس بمثابة المادة والعقل بمثابة الصورة، الحس يؤدي المحسوسات إلى العقل والعقل هو الذي يقوم بعملية التمييز والربط والحكم، كما ذهبوا أيضا إلى أن الحس لا يخطئ لأن الحس لا يحكم وأن ما يحكم هو العقل، ولهذا فإن الخطاء فيما يتعلق بالمحسوسات نشأ من خلال الربط الخاطئ بين ما يراه العقل عن طريق الحواس وبين ما لديه من أفكار مسبقة.

فالعقل الغريزي يفكر ويتأمل ويربط ويفصل بين المحسوسات، فهو كالميزان والأمور التي يتناولها بالوزن هي المحسوسات، ولكن كيفية الوزن أو تلك القواعد والقوانين التي بموجبها تتم عملية الوزن، فإنما هي تأتي من المعلومات البرهانية التي تسمى بالعقل المكتسب.

أما طريق البرهان أو العقل المكتسب، هذا الطريق ينفرد به قوم من العلماء دون غيرهم من الناس وتكون معرفتهم بها بعد النظر في الرياضيات الهندسية والمنطقية.

والإنسان مجبول على استعمال القياس منذ الصغر، لذلك كان بحاجة إلى طريق يعصمه من الخطأ في القياس وهذه الطرق هي البرهان أو العقل المكتسب، فالإنسان وبحثا عن طريق يعصمه من الخطأ يلجا إلى البرهان الذي يسمى ميزان العقل.

ومن خلال هذا نجد ترابط وتشابك بين هذه القوى، يتقاسم أعضاءه مهمات العمل بتناسق.

إن أوائل صناعة البرهان مأخوذة مما في بداية العقول، وما في بداية العقول مأخوذة من الحواس، ومن هنا نرى الارتباط العضوي بين المعلومات الحسية والبرهانية والتدرج المعرفي من المعرفة الحسية إلى البرهان.

والإنسان إذا تأمل الأمور المحسوسة واعتبر أحوالها بفكره وميزها برويته كثرت المعلومات العقلية في نفسه وإذا استعمل هذه المعلومات بالقياسات واستخرج نتائجها كثرت المعلومات البرهانية في نفسه وكل نفس كثرت معلوماتها البرهانية كانت قوتها على تصور الأمور الروحانية.

أما طريق الوحي والإلهام أي المعرفة اللدنية، سبق فيما قبل وقلنا أن هناك نوعان من المعرفة المكتسبة وهي تمر بمراحل ثلاث طريق، الحس والعقل والبرهان، أما المعرفة اللدنية فهي غير مكتسبة وهي ذات صلة مباشرة بالنفس ولا تأتي عن طريق عضوا من أعضاء الجسد، وهي آخر مرحلة من مراحل المعرفة الإنسانية، وهي تعد أعلى المراحل، ومن خلال هذا الطريق يقبل الفيض من النفس الكلية، فالأمور الإلهية لا تدركها الحواس ولا تتصورها الأوهام، ولكن الدليل والبراهين الصادقة باعثة للعقول إلى الإقرار بها القبول بها.

هذه هي طرق المعرفة عند إخوان الصفا وهي أربعة، والمعرفة اللدنية تمثل أعلى هذه الطرق ومن هذا الطريق يقبل الفيض من النفس الكلية.

وبهذا يمكن القول أن آراء إخوان الصفا في المعرفة، ارتقت إلى أن تشكل لنا نظرية في المعرفة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

1. إخوان الصفا: الرسالة الجامعة، تر: مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1981.

2. إخوان الصفا: جامعة الجامعة، تر: عارف ثامر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت،.

3. إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: مج4 ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1957

4. إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج1، مطبعة نخبة الأخبار، بومباي، دط، 1305هـ.

5. إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان.

6. إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، مج3، دار صادر، بيروت.

ثانيا: المراجع بالعربية

1.ابن سينا الحسين بن علي: النجاة، المكتبة المرتضوية، طهران، ط2، 1406هـ.

2.أبو السعود أحمد الفخراني: البحث اللغوي عند إخوان الصفا، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1991م،

3.أحمد أمين: ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط7، دت.

4.أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط6، دت.

5.حامد طاهر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دت، دط.

6.حسن معلمي: إطلالة على نظرية المعرفة في الفلسفة الإسلامية، ترجمة: منصف حامدي، دار الولاء، بيروت، ط1، 2014.

7. حنا الفاخوري خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، ج1، دار الجيل، بيروت، ط2، 1993.

8. ديبور: تاريخ الفلسفة في الإسلام تر: أبو ريدة محمد عبد الوهاب، دار النهضة العربية، بيروت دط، دت.

9. راجح عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1995.

10. زروخي الدراجي: المذاهب الفلسفية الكبرى، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، 2015.

11. شامل الشاهين: نظرية المعرفة في الفلسفة الأوروبية المعاصرة، دار غار حراء، دط، دت.

12. عباس محمد سليمان: الصلة بين علم الكلام والفلسفة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1998.

13. عبد الحلو: الوافي في تاريخ الفلسفة العربية، دار الفكر اللبناني، دط، دت.

14. عبد الحميد الكردي: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1995م.

15. عبد الرحمان بدوي: خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1970.

16. عبد الرحمان بن زيد الزنيدي: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، مكتبة المؤيد، ط1، 1996.

17. عصام زكريا جميل: اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، دار المسيرة، ط1، 2002.

18. عبد اللطيف محمد العبد: دراسات في الفلسفة الإسلامية، دط، دت.

19. عمر الدسوقي: إخوان الصفا، دار إحياء الكتب العربية، دط، دت.

20. عمر فروخ: إخوان الصفا، درس، عرض، تحليل، مكتبة منيمنة، بيروت، ط2، 1953.

21. عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983م.

22. فؤاد معصوم: إخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم، دار المدى، سوريا، ط1، 1998.

23. فوزي خليل الخطيب: تصنيف المعارف عبر العصور، دار اليازوردي، عمان، ط1، 2011.

24. فيصل بدير عون: الفلسفة الإسلامية في المشرق، دار القاهرة، دط، دت.

25. محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الجيل، بيروت، ط2، 1999.

26. محمد عبد الحليم عطية: دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1988.

27. محمد عبد الرحمان مرحبا: الكندي، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1985م.

28. محمد عبد الرحيم الزيلي: مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام، ديوان المطبوعات الجامعية، 1993.

29. محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال: دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، دط.

30. محمد فريد حجاب، الفلسفة السياسية، عند إخوان الصفا، تقديم عز الدين فودة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.

31. مصطفى غالب: فلاسفة من الشرق والغرب، منشورات حمد، بيروت، ط1، 1968م.

32. هنري كوربان بالتعاون مع السيد حسين نصر وعثمان يحي، تاريخ الفلسفة الإسلامية، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط2، 1998.

33. يوسف فرحات: الفلسفة الإسلامية وأعلامها، الناشر ترادكسيم شركة مساهمة سويسرية، جينيف، ط1، 1986.

رابعا: المعاجم

1. ابن منظور: لسان العرب، ج13، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3. 1999.
2. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، الشركة العالمية للكتاب، د ط 1994.
3. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تر: محمد صديق المنشار، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، دت.

خامسا: الموسوعات

1.أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، منشورات عويدات، بيروت، باريس.

خامسا: المجلات

1. آمنة عبد السلام الزائدي: مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، عدد3.
2. علي هادي طاهر الموسوي: نظرية المعرفة عند الكندي، مجلة آداب البصرة، ع 55، 2011م.

الفهرس

الفهرس

العنوان..... **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة 1

الفصل الأول: نظرية المعرفة الإطار الإبستيمولوجي والتاريخي

أولا: مفهوم نظرية المعرفة..... 6

ثانيا: المذاهب الفلسفية ونظرية المعرفة..... 7

ثالثا: نظرية المعرفة في الفكر الفلسفي ما قبل إخوان الصفا..... 12

أ. عند اليونان..... 12

ب.عند المسلمين..... 15

الفصل الثاني: إخوان الصفا الهوية والمرجعية الفكرية

أولا:ملامح القرن الرابع الهجري. 24

أ. الحياة السياسية..... 24

ب. الحياة الاجتماعية..... 25

ج. الحياة الثقافية..... 26

ثانيا: إخوان الصفا أصلهم ومبادئ فلسفتهم..... 29

أ. من هم إخوان الصفا..... 29

ب.مبادئ فكر إخوان الصفا..... 33

ج.رسائل إخوان الصفا..... 34

د. أهدافهم..... 39

الفصل الثالث: الوجود كأساس أنطولوجي للمعرفة عند إخوان الصفا

أولا: الوجود ومراتبه عند إخوان الصفا..... 43

ثانيا: المعرفة وأنواعها وطرقها عند إخوان الصفا..... 49

ثالثا: تصنيف العلوم عند إخوان الصفا..... 54

خاتمة..... 67
قائمة المصادر والمراجع..... 72
فهرس الموضوعات..... 77

تم بحمد الله